الفصل الثاني

ظاهرة التقديم والتأخير
في شعر ابن زيدون

obeikandl.com

obeikandl.com

توطئة:

ظاهرة التقديم والتأخير من أبرز سمات اللغة العربية، ومن أهم الظواهر التي حظيت بعناية النحويين والبلاغيين. قال عنه عبد القاهر الجرجاني " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قُدم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان " [1].

والجملة في النظام اللغوي العربي لا تتسم بالجمود من حيث ترتيب عناصرها، بحيث لا يستطيع المتكلم عن هذا النظام فكاكا، بل تتسم بالمرونة وحرية الحركة بين مواقع عناصرها بحيث يُسْمح" للمتكلم أن يتحرك بحرية، فيختار من التراكيب المحتملة للغة ما يمنح موقفه الفكري والوجداني خصوصيته وتفرده، على نحو تصبح معه اللغة صورة فكرية، سمعية، بصرية في آن واحد "[2].

وقد جاءت دراسة النحويين للتقديم والتأخير مفرقة على أبواب النحو المختلفة، فلم يخصوه بباب معين، وكانت دراستهم له من منطلق يجوز أو لا يجوز، فقسموا الرتبة إلى رتبة محفوظة، ورتبة غير محفوظة، والرتبة المحفوظة لو اختلت لاختل التركيب باختلالها، ومن الرتب المحفوظة في النحو العربي: تقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، وتأخر المعطوف بالنسق عن المعطوف عليه،

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

(٢) الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني. دراسة دلالية تطبيقية معنوية. ابتسام أحمد حمدان. دار طلاس. دمشق. الطبعة الأولى ١٩٩٢م: ٥٢.

والتوكيد عن المؤكد، والبدل عن المبدل منه، وصدارة أدوات الشرط والاستفهام والعرض والتحضيض. ومنها أيضا تقدم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف...، ومن الرتب غير المحفوظة: رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الحال والفعل المتصرف، ورتبة المفعول به والفعل[1]. والرتبة غير المحفوظة قد تتحول إلى رتبة محفوظة إذا لم يؤمن اللبس، كخفاء العلامة الإعرابية، نحو: ضرب موسى عيسى، وأخي صديقي. فإن السياق هنا يتطلب أن يكون (موسى) فاعلا، وأن يكون (أخي) مبتدأ[2].

على أن هناك من النحاة من تنبه إلى الغرض الدلالي من التقديم والتأخير، فذكر سيبويه أنه للعناية والاهتمام، وكأنهم " إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعني، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم" [3].

أما البلاغيون فدرسوا هذه الظاهرة في أبواب خاصة أفردوها لها تحت عنوان (التقديم والتأخير)[4]، مما يوحي بأن البلاغيين قد وجهوا اهتمامًا خاصًّا لهذا الباب، فرصدوا كثيرًا من التعبيرات التي توفرت فيها هذه الظاهرة، وما يمكن أن يستنبط منها من دلالات [5]. فذكروا منها التأكيد والتنبيه والاهتمام والاختصاص.....

بيد أنه لا يمكن الأخذ بهذه الدلالات على علاَّتها دون ولوج النص وما يحيط به من ظروف وملابسات؛ لأن هذه الدلالات تتغير بتغير السياق وما يصاحبه من قرائن.

ولا شك أن التقديم والتأخير خروج عن الأصل، ومخالفة للنظام المألوف في

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها. للدكتور تمام حسان. دار الثقافة. الدار البيضاء. المغرب. ١٩٩٤م: ٢٠٧.

(٢) انظر: السابق: ٢٠٨.

(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٣٤.

(٤) انظر على سبيل المثال: دلائل الإعجاز: ١٠٦ – ١٤٥، المثل السائر: ٢ / ١٧٢ – ١٨٥، الطراز: ٢٣٠ – ٢٣٩.

(٥) انظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٤٨.

ترتيب عناصر الجملة، بيد أن المتكلم يلجأ إليه لغرض له في نفسه، وبخاصة في لغة الشعر، حيث إن الشاعر يبحث عن أكثر الأساليب فعالية لتوصيل ما يريده إلى المستمع.

ونشعر بشرف التقديم والتأخير وقيمته عند ابن زيدون، حين نراه يتحرك حركة غير جبرية بمواقع الجملة المختلفة، فيقدم ما حقه التأخير، ويؤخر ما حقه التقديم، مستغلا تلك الحركة في التعبير عن حالاته الوجدانية. فإذا كان النحاة قد وضعوا أصولاً لترتيب عناصر الجملة، فإن ابن زيدون يخالف هذا الترتيب بحثا عما يؤثر في القارئ. إذ إن مهمة الشاعر الأولى تقريب" النص من ذوق القارئ، والأخذ بيده ليتلمس مواطن الجمال الفني، لإيجاد نوع من التواصل الوجداني، والتفاعل الفكري والنفسي على نحو يجعل المتلقي يعيش اللحظة الشعرية ويحس أثرها الفني "[1].

ويأتي هذا الفصل في خمسة مباحث، هي:

- **المبحث الأول**: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المطلقة.
- **المبحث الثاني**: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المقيدة.
- **المبحث الثالث**: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية.
- **المبحث الرابع**: التقديم والتأخير في أسلوب الشرط.
- **المبحث الخامس**: التقديم والتأخير في المكملات.

(١) الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني: ١٢.

obeikandl.com

المبحث الأول

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المطلقة

الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ على الخبر، هذا مذهب جمهور النحاة، وأرجعوا السبب في ذلك إلى أن " المبتدأ عامل في الخبر، وإذا كان عاملا فحقه أن يتقدم كما تتقدم سائر العوامل على معمولاتها لاسيما عامل لا يتصرف" [(١)]. كما أن "الخبر وصف في المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير" [(٢)]. فكأن المبتدأ منعوت، والخبر نعت له، والأصل أن يتقدم المنعوت ويتأخر النعت. كما قالوا: إن المبتدأ محكوم عليه، والخبر حكمٌ، ومن ثم لابد من ذكر المحكوم عليه قبل ذكر المحكوم به [(٣)].

إلا أنه قد يرد في الاستعمال اللغوي ما يخالف هذا الترتيب بين عنصري الجملة الاسمية، فيتقدم الخبر ويتأخر المبتدأ، وقد وقف النحاة من مخالفة هذا الترتيب موقفين متباينين[(٤)]، فمنع الكوفيون تقدم خبر المبتدأ عليه مفردا كان أو جملة، فلا يقال: قائم زيدٌ، ولا: أبوه قائم زيد. واحتج الكوفيون لصحة مذهبهم بأن قالوا: إن

---

(١) شرح التسهيل. لابن مالك. تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون. دار هجر. الطبعة الأولى١٤١٠هـ- ١٩٩٠م: ١ / ٢٩٦.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١ / ١٩٧، وانظر: شرح الأشموني: ١ / ٢٠٨.

(٣) انظر: الكافية في النحو: ١ / ٨٨، شرح التصريح على التوضيح: ١ / ١٧٠، همع الهوامع: ١ / ١٠٢.

(٤) انظر هذه المسألة بالتفصيل في: كتاب سيبويه: ٢ / ١٢٧، أمالي ابن الشجري: ١ / ٣٦، ٣٧، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٦٥ – ٧٠ مسألة (٩)، أسرار العربية لابن الأنباري: ٧٠، ٧١، شرح المفصل لابن يعيش: ١ / ٩٢، ٩٣، ارتشاف الضرب: ٢ / ٤١ - ٤٣، شرح ابن عقيل: ١ / ١٧٩ – ٢٠٠.

في تقديم خبر المبتدأ عليه، تقديما لضمير الاسم على ظاهره، فإذا قلنا: قائمٌ زيدٌ، كان في (قائم) ضمير زيد، والدليل على ذلك أنه يظهر في التثنية والجمع فيقال: قائمان الزيدان، وقائمون الزيدون، ولو كان خاليا من الضمير لاستعمل مفردا في كل الأحوال، وكذلك إذا قلنا: أبوه قائمٌ زيدٌ، كانت الهاء في (أبوه) ضمير زيد، ورتبة الضمير بعد اسمه الظاهر.

أما البصريون فذهبوا إلى القول بجواز تقديم الخبر- مفردا كان أو جملة- على المبتدأ، فيقال: قائمٌ زيدٌ، وأبوه قائمٌ زيدٌ، واستدل البصريون على صحة مذهبهم هذا بما ورد استعماله بكثرة في نثر العرب وأشعارهم كقولهم (تميميٌ أنا)، و(مشنوءٌ من يشنؤك)، و(رجلٌ عبدُ الله) و(خَزٌّ صُفَّتك) و(في بيته يؤتى الحكم) و(في أكفانة لُفَّ الميت). ففي كل هذه المواضع تقدم خبر المبتدأ عليه؛ لأن الفائدة المحكوم بها تكمن في الخبر، كما أن فيها تقديما للضمير على الاسم الظاهر، والأصل: أنا تميميٌّ، ومن يشنؤك مشنوءٌ، وعبدُ الله رجلٌ، وصُفَّتك خزٌّ، والحكمُ يؤتى في بيته، والميتُ لُفَّ في أكفانه، ومن الشعر قولهم [1]:

فتىً ما ابنُ الأغرِّ إذا شَتَوْنا ... وحُبَّ الزادُ في شهريْ قماحِ

والتقدير: ابن الأغر فتىً ما إذا شتونا. ومن ذلك قول حسان بن ثابت [2]:

قد ثكلتْ أمُّه من كنتُ صاحبه ... أو كان منتشبًا في بُرثنِ الأسدِ

حيث قدم الخبر (قد ثكلت أمه)، وأخر المبتدأ (من كنت صاحبه).

كما ردَّ البصريون قول الكوفيين بأن في تقديم الخبر تقديما لضمير الاسم على ظاهره، فقالوا: إن تقديم المضمر على الظاهر يمتنع إذا تقدم لفظا ومعنى نحو:

---

(١) البيت من الوافر لمالك بن خالد الهذلي. والشاهد فيه تقديم الخبر (فتى) على المبتدأ (ابن الأغر)، والبيت في الإنصاف في مسائل الخلاف:١ / ٦٦، لسان العرب: ١١ / ٢٩٧ (ق م ح).

(٢) البيت من البسيط. لحسان بن ثابت، والشاهد فيه تقديم الخبر(قد ثكلت أمه) على المبتدأ(من كنت صاحبه). والبيت في ديوان حسان، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين. مراجعة حسن كامل الصيرفي. الهيئة المصرية العامة للكتاب١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ١٦٠، شرح ابن عقيل:١/ ١٩٨.

ضرب غلامُه زيدًا، أما إذا تقدم لفظا والنية به التأخير فلا بأس، وعلى هذا يصح: ضرب غلامَه زيدٌ، فزيدٌ فاعل، والغلام مفعول به، ومرتبة المفعول أن يكون بعد الفاعل، لكنه وإن تقدم على الفاعل في اللفظ، فإنه في تقدير التأخير، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ [1]، فالهاء عائدة على موسى، وإن كان متأخرًا لفظا؛ لأن (موسى) في تقدير التقديم من حيث كونه فاعلًا[2].

والرأي عندي ما ذهب إليه البصريون فى جواز تقديم خبر المبتدأ عليه، بشرط أمن اللبس اعتمادًا على الوارد المسموع، كما أن ما ذهب إليه الكوفيون في عدم جواز تقديم خبر المبتدأ عليه يناقض مذهبهم القائم على التوسع وإباحة القياس اعتمادًا على الشاهد أو الشاهدين، يضاف إلى ذلك أن القول بعدم الجواز يعد تضييقًا لباب متسع، وبخاصة في لغة الشعر التي يجنح فيها الشعراء دائمًا إلى مخالفة المألوف.

أما البلاغيون فإنهم عند حديثهم عن تقديم الخبر على المبتدأ، قد نصوا على أن تقديمه يفيد الاختصاص، فإذا قيل: قائم زيدٌ، فقد أثبت له القيام دون غيره، أما إذا قيل: زيدٌ قائم، فإن ذلك لا يعني اختصاصه بالقيام دون سائر الناس، كما أنه مختص بالقيام دون سائر الصفات كالضرب والأكل والجلوس وغير ذلك [3].

بيد أن هذه المعاني المستفادة من التقديم لا يمكن أن تتحدد سلفًا دون ولوج النص والإحاطة بظروفه وملابساته.

وقد تنوعت صور تقديم خبر المبتدأ عليه في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

أولاً: تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة:

أجاز النحاة تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة، نحو قولنا: فيها عبدُ الله، وههنا عمرٌو، وفي داره زيدٌ، وفي الدار صاحبُك [4]، فإذا كان الخبر شبه جملة، والمبتدأ

---

(١) سورة طه: ٦٧.

(٢) انظر: الإنصاف: ١ / ٦٨، أسرار العربية: ٧٠، ٧١، شرح المفصل: ١ / ٩٢.

(٣) انظر: الجامع الكبير: ١٠٩، ١١٠، الفلك الدائر. لابن أبي الحديد: ٤ / ٢٥٠، الطراز: ٢٣٥، البرهان: ٣ / ٢٣٦.

(٤) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ١٢٨، الخصائص: ٢ / ٣٨٥، الكافية في النحو: ١ / ٨٨، همع الهوامع: ١ / ١٠٣.

معرفة، فإن المتكلم حينئذ بالخيار يقدم الخبر ويؤخر المتبدأ، أو يأتي بالجملة على الأصل فيقدم المبتدأ ويؤخر الخبر " فالتعبيران جائزان مقبولان، غير أن الكاتب قد يؤثر أحدهما في موضع ما، ويؤثر الآخر في موضع ثان، ولا يكاد يختلف المعنى في كلتا الحالتين. فالفرق بينهما فرق أسلوب "[1]، وإيثار " أحد الأسلوبين يرجع إلى تلك النواحي الفنية التي تتأثر بمزاج الكاتب وموسيقى الكلام، وعلاقة الجملة بما يليها وما يسبقها "[2].

وقد ورد الخبر شبه الجملة مقدما على المبتدأ المعرفة في شعر ابن زيدون، وقد حقق هذا التقديم الدلالات الآتية:

- **اختصاص الخبر بالمبتدأ**: كما في قول ابن زيدون (من الطويل)[3]:

لك الخيرُ إنِّي قائلٌ غيرُ مُقْصرٍ فمن لي باسْتيفَاءِ ما أنتَ فاعلُ[4]

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور، فقدم الخبر(لك) على المبتدأ(الخير) ليؤكد اختصاص الممدوح بكل الخير.

ومن ذلك قوله (من البسيط)[5]:

لك الشَّفاعةُ لا تُثْنَى أعنَّتُها دون القَبولِ بمَقْبولٍ من العُذرِ

البيت من قصيدة نظمها الشاعر في السجن، يستعطف فيها أبا الحزم بن جهور ليخرجه من السجن، وفي هذا البيت قدم الخبر شبه الجملة (لك) على المبتدأ المعرفة (الشفاعة) لاختصاص أبي الحزم بأمر العفو والشفاعة دون غيره، من حيث كونه الأمير الذي بيده الحل والعقد.

---

(١) من أسرار اللغة: ٣٢٠.
(٢) السابق: ٣٢١.
(٣) الديوان: ٣٩٤.
(٤) أقصر عن الشيء: إذا نزع عنه وهو يقدر عليه. لسان العرب: ١١ / ١٨٤ (ق ص ر).
(٥) الديوان: ٢٦٠.

وقال أيضا (من الطويل) [1]:

ليهنِـكَ أن أحْمـدتَ عاقبـةَ الفـصْدِ فللَّه منـا أجمـلُ الـشُّكرِ والحمـدِ[2]

هنأ الشاعر المعتضد بشفائه من الصداع الذي ألم به، وقد قدم الخبر شبه الجملة (لله) على المبتدأ المعرفة (أجمل الشكر والحمد) لاختصاص الله- عز وجل- بالشكر والحمد.

- **إبراز الصورة:** كما في قوله (من الرمل) [3]:

لا تـــزلْ دولـــتُكم مَبْـــسوطةً بَـسطةً في طيِّهـا قَـبْضُ الـدُّولْ

يدعو الشاعر لدولة المعتمد بالامتداد والتوسع والسيطرة على بقية الدول، وفي هذا السياق قدم الخبر شبه الجملة (في طيها) على المبتدأ المعرفة (قبض الدول) فلم يقل (قبض الدول في طيها)، والتركيب بهذا الشكل يصبح تركيبا عاديا يقلل من فاعلية المعنى المراد، أما مخالفة الأصل بتقديم الخبر في هذا السياق فأوحى بمدى قوة دولة المعتمد وإحكام قبضتها على بقية الدول، وانكماش هذه الدول وتضاؤلها أمام دولة المعتمد.

- **التشويق إلى المبتدأ:** كما في قوله (من الطويل) [4]:

مليـكٌ لـه منَّـا النَّـصيحةُ والهَـوى ومنه الأيادِي البيضُ والنِّعم الخـضـرُ[5]

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور، ويقول: إن حقه علينا النصيحة والحب، ومنه لنا النعم والإحسان، وفي هذا السياق قدم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة، والأصل (مليك النصيحة والهوى له منا والأيادي البيض والنعم الخضر منه)،

---

(١) الديوان: ٤٩٩.
(٢) الفصْد: شق العرق. لسان العرب: ١٠ / ٢٧٠ (ف ص د).
(٣) الديوان: ٥٠٦.
(٤) الديوان: ٥٢٦.
(٥) الأيادي: النعم. لسان العرب: ١٥ / ٤٣٧ (ي د ي).

ولكنه خالف هذا الأصل، وفي هذه المخالفة نوع من التشويق إلى المبتدأ فإذا نطق المتكلم بالخبر (له منا)، و(منه) تحفز واشتاق المستمع لسماع ما يمكن أن تقدمه الرعية للأمير، وما يمكن أن يجود به الأمير على الرعية.

وقال (من الطويل) [1]:

طـــريقتُكم مُـــثْلَى وهَـــدْيكُم رِضًـــا

ومـــذهبكُم قَـــصْدٌ ونـــائلُكم غَمْـــرُ[2]

وكـــم ســـائلٍ بالغيـــب عـــنكم أجبْتُـــه

هنـاك الأيـادي الـشفعُ والـسُّوددُ الـوترُ

يمدح الشاعر آل جهور الذين جمعوا كل الفضائل، فكم من سائل متطلع لمعرفة أخبارهم، فيجيبهم الشاعر بقوله (هناك الأيادي) فقدم الخبر شبه الجملة (هناك) على المبتدأ المعرفة (الأيادي)، وعادة من يسأل دائما أن يكون متشوقا لمعرفة الإجابة، فإذا أجابه الشاعر بقوله: هناك، زاد اشتياقه لمعرفة المبتدأ. أما إذا جاء التركيب على الأصل (الأيادي الشفع والسؤدد الوتر هناك). لانعدم هذا التشويق؛ لأن التركيب بذلك يحمل سمة المباشرة.

- **تحقيق الخبر وتأكيده**: كما في قوله (من الطويل) [3]:

مـسا عيـكَ حَـلْيٌ للَّيـالي مُرصَّـعٌ وذكـرُك في أرْدان أيامِهـا عِطْـرُ[4]

فـــلا تَبعـــدنْ إن المنيَّـــة غايـــةٌ إليها التَّناهي طـال أو قَـصُر العُمْـرُ

---

(١) الديوان: ٥٤٨.

(٢) الطريقة المثلى: التي هي أشبه الطرق بالحق، والقصد: العدل، النائل: العطاء، والغمر: الكثير. لسان العرب: ١٣ / ٢٣ (م ث ل)، ١١/ ١٧٩ (ق ص د)، ١٤ / ٣٤٩ (ن ي ل)، ١٠ / ١١٦ (غ م ر).

(٣) الديوان: ٥٢٧.

(٤) مرصع: محلى، والرُّدن: أصل الكم، فيقال: قميص واسع الردن. لسان العرب: ٥ / ٢٢٦، ١٩٣ (ر ص ع، ر د ن).

البيتان من قصيدة في رثاء أبي الحزم بن جهور، حيث ذكر ابن زيدون مآثر الأمير، وسيرته العطرة، ولتخفيف وطأة الحدث يقول الشاعر: إذا كان الأمير قد مات، فإن الموت نهاية كل حي سواء أطالت الحياة به أم قصرت. وقد قدم الشاعر الخبر شبه الجملة (إليها) على المبتدأ المعرفة (التناهي)، وهو هنا لا يريد مجرد الإخبار بأن الموت نهاية كل حي، وإلا لقال (التناهي إليها)، ولكنه يريد أن يحقق ذلك الخبر ويؤكده في نفس السامع، فذكر الخبر أولاً؛ لأنه الجزء الذي تتم به فائدة الجملة، فتهدأ نفوس من يعتصر قلوبهم الحزنُ لموت الأمير.

وقال أيضا (من الطويل) [1]:

أعبَّادُ يا أوْفَى الملوكِ لقد عدَا عليكَ زَمانٌ من سجيَّته الغدْرُ

لقد غدر الزمان بالمعتضد بن عباد، وأخذه على غرة، ومن طبيعة الزمان أن يغدر بالإنسان، وقد قدم الشاعر الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة في قوله (من سجيته الغدر)، والأصل: الغدر من سجيته، وهذا المعنى يجري مجرى الحكمة، ولكي تكون مؤثرة في نفس السامع، قدَّم الخبر، ليقع أولاً في نفس المستمع، فيتحقق لديه ويتأكد أن الغدر صفة متأصلة في الزمان. فإذا كان قد غدر بالأمير فلا غرو، فتلك طبيعته.

وقال ابن زيدون أيضا (من الطويل) [2]:

هو الدَّهرُ فاصبر للذي أحدثَ الدَّهرُ فمن شيمِ الأبْرارِ في مثلها الصَّبرُ

يعزي الشاعر أبا الوليد بن جهور في وفاة أمه ويحثه على الصبر؛ لأنه من شيم الأبرار، وقد قدم الخبر شبه الجملة (من شيم الأبرار) على المبتدأ المعرفة (الصبر)، والسياق اللغوي يشير إلى كلمة (الصبر) في الشطر الأول؛ لذلك لم يكن الشاعر في

---

(١) الديوان: ٥٦٤.

(٢) الديوان: ٥٣٩.

حاجة إلى تقديمه؛ لمعرفة السامع به فقدم الخبر (من شيم الأبرار) ليؤكده ويحققه في نفس الأمير، ويمكِّنه من نفسه، فإذا تمكن الخبر من نفس الأمير ثبت وصبر، ولم يجزع؛ لأن الصبر من شيم الأبرار.

- **الاهتمام بالخبر**: كما في قوله (من الخفيف)[1]:

بأَبي أنت إن تشأْ تكُ بَرْدًا ... وسلامًا كنارِ إبراهيمْ

للشفيعِ الثناءُ والحمدُ في صَو ... بِ الحَيَا للرِّياحِ لا للغيومْ

البيتان من قصيدة يتضرع بها الشاعر إلى الوزير أبي الوليد ليشفع له عند أبي الحزم؛ ليخرجه من السجن، وقد تقدم الخبر شبه الجملة (للشفيع) على المبتدأ المعرفة (الثناء)؛ لأن الخبر هو موضع اهتمام الشاعر وعنايته؛ لأن باستطاعته أن يحول نكبته إلى جنة، ويكون بذلك أصل النعمة وسببها، كالرياح التي تبعث السحاب المحمل بالمطر من مكان إلى مكان؛ لذلك كان الأولى به التقديم.

ثانيًا: تقديم الخبر النكرة على المبتدأ المعرفة:

أشار النحاة إلى أن أصل المبتدأ أن يكون معرفة وأصل الخبر أن يكون نكرة؛ وذلك لأن الخبر" إنما وضع ليفيد من تخبره شيئا لم يكن عُلم؛ ولذلك صار الخبر الأولى أن يكون نكرة؛ لأنه هو الجزء المستفاد "[2]، كما ذهب ابن يعيش إلى أن "الغرض من الأخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، ألا ترى أنك لو قلت: رجلٌ قائمٌ أو رجلٌ عالمٌ، لم يكن في هذا الكلام فائدة لأنه لا يستنكر أن يكون رجلٌ قائمًا وعالمًا في الوجود ممن لا يعرفه المخاطب "[3]، كما ذهب ابن مالك إلى أنه " يلزم من كون

---

(١) الديوان: ٢٨٣.

(٢) المسائل المنثورة. لأبي على الفارسي. تحقيق الدكتور: شريف عبد الكريم النجار. دار عمَّار. الأردن الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤م: ٢٢١.

(٣) شرح المفصل: ١ / ٨٥.

المبتدأ معرفة في الأصل كون الخبر نكرة في الأصل؛ لأنه إذا كان معرفة مسبوقا بمعرفة توهم كونها موصوفا وصفة، فمجيء الخبر نكرة يدفع ذلك التوهم، فكان أصلا، وأيضا فإن نسبة الخبر من المبتدأ كنسبة الفعل من الفاعل، والفعل يلزمه التنكير، فاستحق الخبر لشبهه به أن يكون راجحا تنكيره على تعريفه" [1]. ومعنى ذلك أنه إذا اجتمع معرفة ونكرة فحق المعرفة أن تكون المبتدأ، وحق النكرة أن تكون الخبر، في حين ذهب ابن هشام إلى جواز الوجهين؛ لأن "الأصل عدم التقديم والتأخير، وأنهما شبيهان بمعرفتين تأخر الأخص منهما" [2]، فيجوز أن يكون كل منهما مبتدأ أو خبرًا.

بيد أن مذهب جمهور النحاة أن تكون المعرفة المبتدأ والنكرة الخبر[3]، وذلك "لأنك إذا ابتدأت بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت، فإنما ينتظر الذي لا يعلمه، فإذا قلت: قائمٌ أو حكيمٌ، فقد أعلمته بمثل ما علمت مما لم يكن بعلمه حتى يشاركك في العلم، فلو عكست وقلت: قائمٌ زيدٌ، فقائم منكور لا يعرفه المخاطب، لم تجعله خبرا مقدما يستفيده المخاطب، ولا يصح أن يكون زيد الخبر لأن الأسماء لا تستفاد ولا يساوي المتكلم المخاطب لأن النكرة مالا يعرفه المخاطب وإن كان المتكلم يعرفه" [4].

والنحاة على جواز مجيء الجملة على الأصل فيتقدم المبتدأ المعرفة على الخبر النكرة، أو مخالفة الأصل بتقديم الخبر النكرة على المبتدأ المعرفة، دون أن يفقد المبتدأ معنى الابتداء، فكان الخليل يستقبح أن يقال " قائمٌ زيدٌ، وذاك إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيدًا عمرٌو، وعمرٌو على

---

(١) شرح التسهيل: ١ / ٢٨٩، ٢٩٠، وانظر: همع الهوامع: ١ / ١٠٠.
(٢) مغني اللبيب: ٢ / ١١٤.
(٣) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ١٢٧، المقتضب: ٤ / ١٢٧، الخصائص: ٢ / ٣٨٥، اللمع: ١١٠، شرح المفصل: ١ / ٨٥، همع الهوامع: ١/ ١٠٠.
(٤) شرح المفصل: ١ / ٨٥، ٨٦.

ضرب مرتفعٌ، وكان الحد أن يكون مقدما، ويكون زيدٌ مؤخرًا "[1]، وذهب سيبويه إلى أن قولنا: مشنوءٌ من يشنؤك، وتميميٌّ أنا، ورجلٌ عبدُ الله، وخزٌّ صفتك، عربي جيد[2]، كما أجاز المبرد نحو " منطلقٌ زيدٌ، إذا أردت بمنطلق التأخير؛ لأن زيدا هو المبتدأ، وتقول على هذا: غلامٌ لك عبدُ الله، وظريفان أخواك، وحسانٌ قومُك "[3]، بتقديم الخبر النكرة على المبتدأ المعرفة.

وقد ورد تقديم الخبر النكرة على المبتدأ المعرفة في شعر ابن زيدون، محققا به الأغراض الآتية:

- **تركيز الشاعر على مضمون الخبر**: وذلك في قوله (من الطويل)[4]:

مُرادُهم حيثُ السِّلاحُ خَمائلُ ... وموردُهم حيثُ الدِّماءُ مناهلُ[5]

ودون المُنى فيهم جيادٌ صوافنٌ ... ومَأْثورةٌ بيضٌ وسُمْرٌ عَواملُ

لكلِّ نَجيدٍ في النِّجادِ كأنَّما ... تُنَاطُ بمتْن الرُّمْحِ منه الحَمائلُ

طويلٌ علينا ليلُهُ من حفِيظَةٍ ... كأنَّ صباباتِ النفوسِ طَوائلُ

قدم الشاعر الخبر (طويل) على المبتدأ (ليله) في البيت الرابع، وقد لعب التقديم والتأخير هنا دورا مهما في إبراز المعنى والإحساس بطول هذا الليل، فالشاعر يريد الوصول إلى حبيبته التي تنتمي إلى أسرة قوية البأس، مرهوبة الجانب، ويحول بينه وبين الوصول إليها فرسان شجعان بواسل يمتطون الجياد المطهمة المعدة للقتال،

---

(١) كتاب سيبويه: ٢ / ١٢٧.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ١٢٧.

(٣) المقتضب: ٤ / ١٢٧، وانظر: أيضا: الخصائص: ٢ / ٣٨٥، شرح المفصل: ١ / ٩٢، شرح الأشموني: ١ / ٢٠٩.

(٤) الديوان: ٣٨٧.

(٥) خمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف، والصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وأقام الرابعة على طرف الحافر، والنجيد: الشجاع، والنجاد: حمائل السيف، والحفيظة: الغضب لانتهاك حرمة، وطوائل: جمع طائلة: وهي الثأر والعداوة. لسان العرب: ٤ / ٢٢١ (خ م ل)، ٧ / ٣٦٩ (ص ف ن)، ١٤ / ٤٨، ٤٩ (ن ج د)، ٣ / ٢٤٣ (ح ف ظ)، ٨ / ٢٣٠ (ط و ل).

سيوفهم مشدودة ورماحهم معلقة. أما وليُّ هذه الفتاة فهو قوي البأس شديد الغيرة، يعتبر حب الشاعر لابنته جريمة أو ثأرًا يجعله يفكر في القصاص منه؛ لذا فهو يسهر الليل بطوله ليمنع وصول الشاعر إلى فتاته. على الجانب الآخر فإن الشاعر يرى الوصول إلى فتاته أمرًا صعب المنال وسط كل هذه الحشود التي تحميها؛ لذا فهو يسهر الليل أيضا بحثا عن منفذ ينفذ منه إلى حبيبته، وينتظر طويلا دون جدوى، وأمام هذا الانتظار يمر الوقت عليه بطيئا، فيطول ليله، وقد ساعد تقديم الخبر (طويل) على المبتدأ (ليله) في البيت الرابع على الإحساس بطول هذا الليل على الشاعر، ومرور الوقت بطيئا عليه، أما لو قال: ليله طويل علينا، لتحولت الجملة إلى خبر عادي، نفتقد معه الإحساس بمعاناة الشاعر.

- **تعظيم الخبر والاهتمام به:** كما في قول ابن زيدون (من الطويل) [1]:

فداءٌ لإسْماعيل كلُّ مرشَّحٍ إذا جُشِّم الأمرَ الجسيمَ تبلَّدَا[2]

يمدح الشاعر إسماعيل بن المعتضد وولي عهده، ويقول: فداء له كل مرشح لتولي السلطان، فإنه إذا كُلِّف أمرًا أصابته البلادة والإحجام [3]، وتقديم الخبر (فداء لإسماعيل) على المبتدأ (كل مرشح) أضفى على الخبر تعظيما ورفعة عن طريق تقديمه ليكون في موقع الصدارة، وتأخير المبتدأ الذي يقل في أهميته عن الخبر، أما لو جرى الأسلوب على المألوف وقيل: كل مرشح فداء لإسماعيل، لافتقدنا معه التعظيم والاهتمام اللذين أضفاهما الشاعر على الخبر.

وهذا ما نجده أيضا في قوله (من الطويل) [4]:

فداءٌ لباديسَ النفوسُ وجَادَه من الشُّكرِ في أفْقِ الوفَاءِ غَمامُ

---

(١) الديوان: ٤٧٤.

(٢) جشم: كلف. لسان العرب: ٢ / ٢٩٠ (ج ش م).

(٣) انظر: الديوان: ٤٧٤ هامش (٣).

(٤) الديوان: ٣٣٦.

إن تقديم الخبر (فداء لباديس) على المبتدأ (النفوس) جعلنا نشعر بأهمية هذا الخبر، فباديس هو أمير البربر بغرناطة، تعاقد معه بنو جهور لصد بني عباد عن قرطبة. ولو قال الشاعر: النفوس فداء لباديس، لما أحسسنا بأهمية هذا الخبر.

- **تأكيد الخبر**: كما في قوله (من الوافر)[1]:

تَمَنَّتْ أن تَنالَ رِضاكَ نَفْسِي فكانَ مِنِيَّةً ذاك التَّمنِّي

ولم أجْنِ الذُّنوبَ فَتحْقِديها ولكنْ عادةٌ منكِ التَّجنِّي

حرص الشاعر على الإيحاء بأن التجني عادة متأصلة في محبوبته؛ لذا نراه يقدم الخبر (عادة) على المبتدأ (التجني) وذلك ليضمن ظهور الخبر على نحو يجعله محورًا للمعنى، وليؤكد لمحبوبته أن التجني وافتعال التهم عادة تفسد علاقة الود التي تربط بينهما.

- **تحقير الخبر**: استخدم الشاعر التقديم والتأخير وسيلة لتحقير الخبر، كما في قوله (من الطويل)[2]:

هَبِ العزْلَ أضْحَى للولايةِ غايةً كما غايةُ الموفِي من الظِّلِّ أن يُكْرِى[3]

ففيمَ أَرى ردَّ السلامِ إشارةً تسوِّغُ بي إزْراءَ من شاء أن تُزْرِى

أُناسٌ هُمُ أَخْشى للذْعةِ مِقْولِي إذا لم يكن ممَّا فعلتَ لهم مُضْرِ

لقد عزل الأمير الشاعر، وأعرض عنه، فأخذ الشاعر يتزلف إليه، ويقول له: إذا كنت قد عزلتني، فهذا أمر متوقع؛ لأن الولايات تنتهي دائما بالعزل، ولكن لماذا تتثاقل في رد تحيَّتي؟ إنك بفعلك هذا قد أغريت بي حسادي، وأتحت لخصومي أن يتناولوني بالزراية والاستخفاف مع أنهم يرهبونني ويخشون لذعات لساني. إن

---

(١) الديوان: ١٦٦.

(٢) الديوان: ٢٩٥.

(٣) يكري: ينقص، وأضراه: أغراه، مضري: معري. لسان العرب: ١٢ / ٨٤ (ك ر ا)، ٨ / ٥٨ (ض ر ا).

تنكير الخبر(أناس) وتقديمه على المبتدأ (هم) في البيت الثالث أعطى إحساسا بمدى امتهان الشاعر لهؤلاء الحساد الذي يسعون دائما للوقيعة بينه وبين الأمير، فكأنهم لا يستحقون سبق الإشارة إليهم، أما لو قال: هم أناس، لخفَّف ذلك من نبرة احتقاره لهم، فكأنه بتنكير الخبر وتقديمه يريد أن يقول: إن هؤلاء الحساد لا وزن لهم ولا قيمة أمام لذعات لسانه.

ثالثًا: تقديم المبتدأ النكرة على الخبر شبه الجملة:

اتفق النحاة على أن المبتدأ متى كان نكرة وخبره ظرف أو جار ومجرور وجب تقديم الخبر[1]، فيقال: في الدار رجلٌ، ولا يقال رجلٌ في الدار. وعلَّتُهم في وجوب هذا التقديم هو الخوف من التباس الخبر بالصفة[2]؛ ولأن النكرة مجهولة، والحكم على المجهول لا يفيد غالبا؛ لذلك لا يبتدأ بها[3].

إلا أنهم أجازوا الابتداء بالنكرة، إذا وجد ما يسوغ الابتداء بها[4]، فإن وجد "للنكرة مسوغ جاز الأمران نحو: رجلٌ ظريفٌ عندي، وعندي رجلٌ ظريفٌ" [5]، وإن لم يكن هناك مسوغ للابتداء بها التزم تقديم الخبر.

وقد ورد تقديم المبتدأ النكرة على الخبر شبه الجملة في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل)[6]:

لبئسَ الوفاءُ اسْتنَّ في ابن عَقيدةٍ عشيَّة لم يُصْدِرْه من حيث أوْرَدا[7]

---

(١) انظر: أمالي ابن الشجري: ١/ ١١٣، شرح المفصل: ١/ ٩٣، مغني اللبيب: ٢/ ١٣٩، شرح ابن عقيل: ١/ ٢٠٨، شرح التصريح:١ / ١٦٨.

(٢) انظر: شرح المفصل: ١ / ٩٣، مغني اللبيب: ٢ / ١٣٩، شرح التصريح: ١ / ١٦٨.

(٣) انظر: شرح التصريح: ١ / ١٦٨.

(٤) انظر: مسوغات الابتداء بالنكرة في: مغني اللبيب: ٢ / ١٣٧ – ١٤٣، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١ / ١٨٧ – ١٩٦.

(٥) شرح ابن عقيل: ١ / ٢٠٨.

(٦) الديوان: ٤٧٤.

(٧) العقيد: الحليف. لسان العرب: ٩ / ٣١٠ (ع ق د).

قـرينٌ لـه أغْـوَاهُ حتَّـى إذا هَـوى تَـبرَّأ يَعْتَـدُّ الـبَرَاءَة أرْشَـدَا

قدم الشاعر المبتدأ النكرة (قرينٌ) على الخبر شبه الجملة (لـه) في البيت الثاني، وكان بإمكانه أن يلتزم بالقاعدة ويقول: له قرين أغواه. والشاعر في هذين البيتين يشير إلى تلك الحروب التي نشبت بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الأفطس، والتي انتهت بانتصار المعتضد، وقد استنجد المظفر في هذه الحروب بالعز بن إسحاق الذي أرسل ابنه إسحاق بن عبد الله -أمير قرمونة- على رأس جيش لنجدة المظفر، ولكنه قُتل في المعركة، وتخلَّى عنه المظفر، وتركه معفَّرًا في ميدان القتال، ويشير الشاعر في البيت الثاني إلى أن قرينه (المظفر) هو الذي أغواه بالانضمام إليه حتى أورده موارد الهلاك، ثم تخلى عنه متبرئا منه، اعتقادا منه أن هذا هو طريق الرشاد [1].

إن تنكير المبتدأ (قرين) وتقديمه على الخبر شبه الجملة (لـه)، وجعْله في موقع الصدارة، مع أن رتبته أن يكون خلف الخبر، أتاح له الظهور على نحو يلفت الأنظار إليه، وإلى سوء أدبه وتصرفه، فقد خان هذا القرينُ المعتضد، وجحد نعمه بعدما أولاه بالرعاية والعناية، وجاهر بعدائه، وتمادى في ضلاله، رافضا نصح الأمير له، فكلما بالغ الأمير في إكرامه، زاد في تمرده وعناده، حتى أنه خان حليفه الذي استنجد به ضد المعتضد أيضا، وتركه مقتولا في ميدان الحرب، في خضم هذه الأحداث استطاع الشاعر أن يوظف التقديم والتأخير ليتوافق معها، فكما أن أفعال هذا القرين تعد خروجا على مألوف الآداب، وحفظ العهود ومقابلة الحسنة بالحسنة، فإن تقديم المبتدأ النكرة على الخبر شبه الجملة يعد أيضا خروجا على مألوف الاستعمال اللغوي.

(١) انظر: الديوان: ٤٧٣: هامش (٤)، ٤٧٤ هامش (١).

المبحث الثاني

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المقيدة

تتكون الجملة الاسمية من اسمين مرفوعين، يسمى الأول مبتدأ، والثاني خبرا، والأصل في ترتيب هذه الجملة أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، وقد تتعرض الجملة الاسمية لدخول النواسخ عليها، فيتغير اسم المبتدأ والخبر، فيصير المبتدأ اسما للناسخ، والخبر خبرا له، كما تؤثر في إعرابهما. أما ترتيب هذه الجملة بعد دخول الناسخ، فالأصل فيه يكون " مستمدا من أصل الترتيب مع الجملة الاسمية" [1]، فتبدأ الجملة بالناسخ، ثم الاسم، ثم الخبر. إلا أن النحاة أجازوا مخالفة هذا الترتيب مثلما أجازوه في الجملة الاسمية المطلقة، فأجازوا في الجملة الاسمية المقيدة تقدم خبر الناسخ على اسمه، وتقدم خبر الناسخ عليه.

وقد ورد التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المقيدة في شعر ابن زيدون على صورتين:

أولاً: تقديم خبر كان وأخواتها على اسمها:

اتفق النحاة على أنه لا يجوز تقدم خبر كان أو إحدى أخواتها على اسمها، إذا حدث لبس بين الاسم والخبر، كخفاء الإعراب فيهما، نحو قولهم: كان موسى فتاك، فإنه لا يعلم هنا الاسم من الخبر؛ وذلك لإعرابهما بالحركات المقدرة، أو أن

(١) مخالفة الأصل بالتقديم والتأخير في القرآن الكريم. دراسة تحليلية. رسالة ماجستير للباحث: فريد أحمد البسطويسي. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: ١١٥.

يُحصر الخبر، نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾[1]، بالتزام أصل الترتيب[2]. أما إذا أُمن اللبس ولم يكن الخبر محصورا، فالنحاة على جواز تقدم خبر كان أو إحدى أخواتها على الاسم، ففي قولهم: كان عبدُ الله أخاك، يقول سيبويه"إن شئت قلت كان أخاك عبدُ الله، فقدمت وأخرت كما فعلت ذلك في ضَرَبَ لأنَّه فعلٌ مثله، وحال التقديم والتأخير فيه كحاله في ضَرَبَ، إلا أن اسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد"[3]، وقد شرح النحاة قول سيبويه فقالوا: إن كان وأخواتها أفعال ناقصة تقتضي مبتدأ وخبرا؛ لذا وجب أن يكون حكم ما بعدها كحكم الأفعال الحقيقية، والأفعال الحقيقية ترفع فاعلا وتنصب مفعولا، فرفعت هذه الأفعال الاسم ونصبت الخبر؛ ليصير المرفوع كالفاعل، والمنصوب كالمفعول به، فأشبه قولُنا: كان زيدٌ قائمًا، قولَنا: ضرب زيدٌ عمرًا. ولما كان المرفوع في الأفعال الناقصة يشبه الفاعل، والفاعل لا يجوز تقديمه على الفعل، لم يجز تقديم أسماء هذه الأفعال عليها لشبهها بالفاعل. أما خبر هذه الأفعال فإنه يشبه المفعول به، ولما كان المفعول به يجوز تقديمه على الفاعل وعلى الفعل نفسه، جاز تقديم أخبار هذه الأفعال على أسمائها وعليها أنفسها، وذلك إذا لم يكن هناك مانع من التقديم، فيجوز: كان زيدٌ قائمًا، وكان قائمًا زيدٌ، وقائمًا كان زيدٌ[4]، وعلى ذلك جاء القرآن الكريم وشعر العرب، فمن القرآن الكريم قوله تعالى﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، فقوله تعالى (حقًّا) خبر كان، وقد تقدم على الاسم (نصر المؤمنين)،

---

(١) سورة الأنفال: ٣٥.

(٢) انظر: شرح التصريح على التوضيح: ١ / ١٨٨.

(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٤٥، وانظر: المقتضب: ٤ / ٨٨ ، ٨٩، الخصائص: ٢ / ٣٨٤، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١ / ٦٩، شرح المفصل: ٧ / ١١٣، شرح التصريح: ١ / ١٨٧، شرح الأشموني: ١ / ٢٣٢.

(٤) انظر: أسرار العربية. لأبي البركات الأنباري. تحقيق محمد بهجة البيطار. مطبوعات المجمع العلمي العربي. دمشق: ١٣٨، ١٣٩، شرح المفصل: ٧ / ١١٣، المساعد على تسهيل الفوائد: ١ / ٢٦٠.

(٥) سورة الروم: ٤٧.

وقوله تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ [1]، فقوله تعالى (عجبا) خبر كان، و(أن أوحينا) اسمها[2].ومن الشعر قوله [3]:

سَلي إن جَهلْتِ الناسَ عنَّا وعنهُمُ فليسَ سواءً عالمٌ وجَهولُ

بتقديم خبر ليس (سواء) على اسمها (عالم)، ومنه أيضا قول الشاعر [4]:

وكُنَّا الأَيمَنِينَ إذا التقَيْنا وكان الأَيْسرينَ بنو أَبينَا

أي: وكان بنو أبينا الأيسرين، بتقديم خبر كان على اسمها.

وقد ورد تقديم خبر كان أو إحدى أخواتها على اسمها في شعر ابن زيدون؛ لتحقيق المعنيين الآتيين:

- **التعبير عن الموقف الانفعالي للشاعر**: كما في قوله (من البسيط) [5]:

كم غُرَّةٍ لي تلقَّتْها قُلوبُهُمُ

كما تلقَّى شِهابَ الموقِدِ الشَّمَعُ[6]

---

(١) سورة يونس: ٢، وقرأ ابن مسعود (عجبٌ) بالضم، باعتباره اسما لكان، و(أن أوحينا) خبرا. انظر: الكشاف للزمخشري: ٢ / ٢٢٤.

(٢) انظر: المقتضب: ٤ / ٨٩، الكشاف للزمخشري: ٢ / ٢٢٤، شرح المفصل: ٧ / ١١٣.

(٣) البيت من الطويل، وهو منسوب للسموءل بن عاديا الغساني واللجلاج الحارثي، والشاهد فيه تقدم خبر ليس على اسمها، انظر: المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل. تحقيق محمد كامل بركات. دار الفكر. دمشق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ١ / ٢٦١، شرح الأشموني: ١ / ٢٣٢، شرح شواهد العيني: ١ / ٢٣٢.

(٤) البيت من الوافر. لعمرو بن كلثوم. والشاهد فيه تقديم خبر كان (الأيسرين) على اسمها (بنو أبينا). والبيت في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. لأبي بكر بن الأنباري. تحقيق: عبد السلام هارون. دار المعارف ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م: ٤١١.

(٥) الديوان: ٣٠٣.

(٦) العرانين: جمع عرنين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشم، والشمم: ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه، وإشراف الأرنبة قليلا، وشم العرانين: كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس، والجدع: القطع. لسان العرب: ٩/ ١٧٤ (ع ر ن)، ٧ / ٢٠٦ (ش م م)، ٢ / ٢٠٧ (ج د ع).

إذا تأمَّلْـــتَ نُـــصْحِي غِـــبَّ غِـــشِّهِمُ

لم يخْـفَ مـــن فَلـــقِ الإصْـــباحِ مُنْـــصَدِعُ

تلـــك العَـــرانينُ لم يَـــصْلُح لهـــا شـــممٌ

فكـــان أهْـــونَ مـــا نيلـــتْ بـــه الجَـــدَعُ

البيت من قصيدة يرجو فيها الشاعر عفو الأمير أبي الوليد بن جهور بعد الفتنة التي أثارها ضده بنو ذكوان، وقد طالت هذه الفتنة الشاعر، ففزع إلى الأمير متبرئا منها، مبينا له مدى العداء الذي بينه وبين بني ذكوان، وما يضمرونه له من البغض والكراهية، والشاعر هنا يعيش لحظة انفعال شديد في محاولة منه لإثبات براءته، كما يعيش حالة غضب شديد من تصرف بني ذكوان الذين زجُّوا به في هذه الفتنة، ولاشك أن تقديم خبر كان في البيت الثالث (أهون) على اسمها (الجدع) قد أوحى بحالتي الانفعال والغضب المسيطرتين على الشاعر، كما كشف عن رغبته في الانتقام من بني ذكوان الذين أثاروا هذه الفتنة؛ لذا نراه يقدم خبر كان على اسمها، فكأن قطع الأنوف هو أقل عقاب يمكن أن ينال هؤلاء القوم.

ومن ذلك أيضا قوله (من الكامل) [1]:

أَسْررْتُـــمُ فـــرأى نَجـــيَّ غُيـــوبكُم ... شَـــيْحَانُ مَـــدْلُولٌ عليهـــا مُلْهِـــمُ

وعبَـــأْتُمُ للفِـــسْقِ ظُفُـــرَ سِـــعاية ... لم يعْـــدكُمْ أن رُدَّ وهْـــو مُقَلَّـــمُ

وَنبـــذْتُمُ التَّقـــوى وراء ظُهوركـــمْ ... فغـــدا نقيـــضَكم التَّقـــيُّ الأكْـــرمُ

إن حالة الانفعال والغضب تسيطر على الشاعر نتيجة تصرف حساده الذين انتهزوا فرصة موت المعتضد بن عباد، وتولي ابنه المعتمد الحكم، للوقيعة بينه وبين الوالي الجديد، ولكن الأمير استطاع كشف هذه المؤامرة، فتوجه الشاعر إلى هؤلاء

(١) الديوان: ٣١٤.

الحساد بالقول معنفًا وموبخًا: لقد أخفيتم المكر، وأعددتم للفجور، ودبرتم المكائد والدسائس، ولكن الأمير كشف ذلك بفطرته وتدبيره الحكيم، إنكم بفعلكم هذا قد طرحتم التقوى وراء ظهوركم، وناقضتم الأتقياء والكرماء [1]. إن حالة الانفعال المسيطرة على الشاعر من جرَّاء تصرف هؤلاء الحساد، قد انعكست على التركيب اللغوي، فنراه يقدم خبر (غدا) في البيت الثالث (نقيضكم) على اسمها (التقي الأكرم) فيخرج بالتركيب عن المألوف نتيجة وقوعه تحت ضغط الانفعال بسبب تصرفات هؤلاء الحاقدين.

- **إبراز الخبر والتأكيد عليه**: كما في قوله (من البسيط) [2]:

حالتْ لِفقْدِكم أيَّامُنا فَغَدتْ سُودًا وكانت بكُم بيضًا لَياليَنا

يقارن الشاعر بين حاليه في الماضي والحاضر، فهو يأسى للحاضر بعد فراق ولادة له، ويتحسر على الماضي، فقد تغيرت أزمانه بسبب فقدانه لولادة، فالأيام التي هي في الحقيقة مشرقة بيضاء، أصبحت تبدو – لفرط حزنه – مظلمة سوداء، على حين كانت لياليه – أيام الوصال وهي في الحقيقة مظلمة سوداء – تبدو لفرط سعادته مشرقة بيضاء [3]. إن المقارنة – لاشك – في صالح الماضي، وكان تقديم خبر كان على اسمها في قوله (بيضا لياليا) أداة مهمة ساعدت الشاعر على الإيحاء بذلك، وذلك ليضمن ظهور الخبر على نحو يجعله محورا للمعنى، وكأنه يريد لفت انتباهنا إلى مدى فرط سعادته في ليالي الوصال. أما لو التزم أصل الترتيب فقدم الاسم وأخر الخبر لتصبح (وكانت لياليا بيضا بكم) فإن ذلك سيقلل من فاعلية الخبر في إبراز المعنى والتأكيد عليه، ولتحولت الجملة إلى خبر عادي لا يثير في السامع أي انتباه.

---

(١) انظر: الديوان: ٣١٤ هامش (٢، ٣، ٤).

(٢) الديوان: ١٤٣.

(٣) انظر: قصائد أندلسية: ٤٤.

وقال أيضا (من الرمل) [1]:

إنَّ مَــنْ أضْــحى أبــاهُ جهــورٌ قالــتِ الآمــالُ عنــه فَفَعَــلْ

البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر أبا الوليد بن جهور، وقد قدم خبر (أضحى) على اسمها في قوله (أضحى أباه جهور) للتأكيد على أن كل من يمتُّ إلى جهور بصلة قرابة أو نسب جدير بالفخار وبتحقيق أكبر الآمال، كما أضفى هذا التقديم على الخبر نوعا من الرفعة وعلو الشأن نتيجة انتسابه إلى جهور، وكأن الشاعر بتقديمه الخبر وجعله في موقع الصدارة يريد أن يقول: إن هؤلاء القوم يستحقون أيضا مكان الصدارة بين الناس. أما لو التزم الترتيب المألوف، فقال: أضحى جهور أباه، لافتقدنا في الخبر ما يوحي به من الرفعة وعلو الشأن التي صاحبت التقديم والتأخير.

ثانيًا: تقديم خبر كان وأخواتها عليها:

الأصل في الجملة الاسمية المنسوخة أن تبدأ بالناسخ ثم الاسم ثم الخبر، لكن النحاة أشاروا إلى جواز مخالفة هذا الأصل ما لم يكن هناك مانع، فذهبوا إلى القول بجواز تقديم خبر كان عليها[2]. وأرجعوا السبب في ذلك إلى أن خبر كان يشبه المفعول به، والمفعول به يجوز تقديمه على الفعل، فكما جاز: عمرًا ضرب زيدٌ، يجوز: قائمًا كان زيدٌ[3].

وقد ورد تقديم خبر كان عليها في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من مجزوء الخفيف) [4]:

خُنْــتَ عَهــدِي ولم أخُــنْ بعــتَ وُدِّي بــلا ثَمــنْ

---

(١) الديوان: ٣٤٠.

(٢) انظر: المقتضب: ٤ / ٨٧، الخصائص: ٢ / ٣٨٤، شرح التصريح: ١ / ١٨٨، الأشباه والنظائر: ٢ / ٧٥.

(٣) انظر: أسرار العربية: ١٣٨، شرح المفصل: ٧ / ١١٣.

(٤) الديوان ١٩١.

قـــــائلا هـــــل مُزايـــــدٌ رابحًـــا ثـــم مـــن يَـــزنْ
عُـــــدَّتِي كُنـــــتَ للزمـــــا ن فقـــــد حُلْـــــتَ والـــــزَّمنْ

الشاعر هنا واقع تحت تأثير عاطفة حزن عميق، بعد ما خان محبوبه عهده، وباعه بلا ثمن بعدما كان يعتبره عتاده وعُدَّته التي يستعين بها على تقلبات الزمان وصروفه، وكان تقديم خبر (كان) في البيت الثالث (عدتي) وسيلة من وسائل الشاعر لتأكيد هذا الخبر وإبرازه ولفت انتباهنا وأسماعنا إلى ما كان يمثله محبوبه له من عون. وكان بإمكانه أن يقول: كنت عدتي للزمان. ولكن التركيب بهذا الشكل يقلل من فاعلية الخبر في إبراز المعنى الذي يريده الشاعر، كما يصبح التركيب تركيبًا عاديا لا يلفت الانتباه ولا الأسماع.

obeikandl.com

المبحث الثالث

التقديم والتأخير في الجملة الفعلية

الأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن يلي الفاعلُ الفعلَ متصلا به غير منفصل؛ لأنه يتنزل من الفعل منزلة الجزء، فهما كالشيء الواحد؛ لذلك يسكن له آخر الفعل إذا كان ضمير متكلم، أو مخاطب، نحو: ضربْتُ وضربْتَ، فسكنوه كراهية توالي أربعة متحركات، وهم يكرهون ذلك في الكلمة الواحدة، فدلَّ ذلك على أن الفاعل مع الفعل كجزءي كلمة [1]. كما أن الأصل في المفعول به أن ينفصل من الفعل ويتأخر عن الفاعل[2].

إلا أنه قد يرد في الاستعمال اللغوي ما يخالف الترتيب الأصلي للجملة الفعلية، فتتعرض في بعض عناصرها للتقديم والتأخير، فيتقدم المفعول به على الفاعل أو الفعل، في حين أوجب البصريون حفظ الترتيب الأصلي بين الفعل والفاعل، فلا يجوز تقدم الفاعل على فعله إلا على شرط الابتداء، فلا يقال: زيدٌ قام، على أن يكون (زيد) فاعلا مقدما. وأرجع البصريون السبب في عدم جواز التقديم إلى أن الفعل والفاعل بمنزلة الكلمة الواحدة، فكما لا يجوز تقدم عجز الكلمة على صدرها، لا

---

(١) انظر: المقتضب: ١ / ١٩، كتاب الشعر: ٢٧١، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٥٢١، شرح المفصل ١ / ٧٦، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٠، الأشباه والنظائر للسيوطي: ٢ / ٨٤، همع الهوامع: ١ / ١٦، شرح الأشموني: ٢ / ٥٥.

(٢) انظر: شرح المفصل: ١ / ٧٦، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٠.

يجوز تقدم الفاعل على الفعل[1]. أما الكوفيون فأجازوا تقديم الفاعل على الفعل، فيقال: زيد قام، على أن يكون (زيدٌ) فاعلا تقدَّم على فعله (قام)[2]، ورأْي البصريين هو الأولى بالقبول؛ لأن تقديم الفاعل يؤدي إلى التباسه بالمبتدأ. أما المفعول به فلا خلاف بين النحاة على جواز تقديمه أو تأخيره إذا أمن اللبس ووجد من القرائن ما يدل على الموقع الأصلي للكلمة.

وقد ورد التقديم والتأخير في الجملة الفعلية في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

أولاً: تقديم المفعول به على الفاعل:

الأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن تبدأ بالفعل متلوًّا بالفاعل ثم يعقبه المفعول به، ويجوز تقديم المفعول به على الفاعل وتوسطه بين الفعل والفاعل.

وتقديم المفعول به على الفاعل كثير شائع في اللغة العربية، وصفه سيبويه بأنه "عربي جيد كثير"[3]، وذهب ابن جني إلى"أن المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذهبهم كثرة تقدمه على الفاعل، حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال: إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، كما أن تقدم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا"[4]، كما أشار ابن جني أيضا إلى أن " الأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له، حتى إنه إذا أُخر فموضعه التقديم "[5]، ويفهم من كلام ابن جني أنه

(١) انظر: الأصول في النحو. لابن السراج. تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ١ / ١٧٤، أسرار العربية: ٧٩ - ٨٣، البسيط في شرح جمل الزجاجي: ٢٧٤، ٢٧٥، شرح ابن عقيل: ١ / ٣٩٤.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل: ١ / ٣٩٤، ٣٩٥.

(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٣٤.

(٤) الخصائص: ١ / ٢٩٦.

(٥) السابق: ١ / ٢٩٨.

يعتبر تقدم المفعول به على الفاعل أصلا ثانيا لترتيب الجملة الفعلية؛ وذلك لكثرته في القرآن الكريم وكلام العرب.

وقد اتفق النحاة على عدم جواز هذا التقديم إذا حدث لبس بين الفاعل والمفعول به، كخفاء الإعراب فيهما، ولم توجد قرينة تبين الفاعل من المفعول به، وذلك نحو: ضرب موسى عيسى. فيجب كون (موسى) فاعلا، و(عيسى) مفعولا به، وذلك لخفاء الإعراب، وعدم وجود قرينة تبين الفاعل من المفعول به. على حين يجوز التقديم إذا وجدت قرينة لغوية تبين الفاعل من المفعول به، كظهور الإعراب "لأنك تعلم بالإعراب الفاعل والمفعول "[1]، كما في قوله تعالى ﴿ لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا ﴾[2]، أو اتصال علامة الفاعل بالفعل، نحو: ضربتْ موسى حبلى، أو تكون هناك قرينة غير لغوية تتمثل في سياق الموقف ومعرفة السامع بالفاعل والمفعول به، نحو: أكل الكمثرى موسى، وأرضعت الصغرى الكبرى. فلا اعتبار هنا لكون (الكمثرى) و(الصغرى) فاعلين، وذلك لوجود القرينة الحالية التي تدفع اللبس والغموض، وتميز الفاعل من المفعول به[3]. وعلى ذلك يجوز تقديم المفعول به على الفاعل في مثل قولنا: ضرَب عبدُ الله زيدًا؛ ليصير التركيب: ضرَب زيدًا عبدُ الله " لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ. فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما "[4]. أي أن المفعول به وإن تقدم على الفاعل في اللفظ، فإن النية فيه التأخير؛ لأن الأصل أن يتقدم الفاعل على المفعول به.

---

(١) المقتضب: ٣/ ٩٦.

(٢) سورة الحج: ٣٧.

(٣) انظر: الأصول في النحو: ٢ / ٤٥، الكافية في النحو: ١ / ٧٢، ٧٣، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٢، همع الهوامع: ١ / ١٦١، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٧٥، شرح الأشموني: ٢ / ٥٦، أثر السياق في مبنى التركيب ودلالته: ١٣٩، ١٤٠.

(٤) كتاب سيبويه: ١ / ٣٤، وانظر: المقتضب: ٢ / ٦٩، ٤ / ١٠٢، الخصائص: ١ / ٢٩٥، ٢٩٦، شرح المفصل: ١ / ٧٦.

وقد ورد تقديم المفعول به على الفاعل في شعر ابن زيدون، وذلك للأغراض الآتية.

- **التعظيم**: كان تقديم المفعول به على الفاعل وسيلة من وسائل الشاعر في إسباغ صفة العظمة على المفعول به، فيكون المفعول به بذلك أعظم شأنا من الفاعل، وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

يُراقــبُ منــه اللهَ معتــضدٌ بــه ... يَدَ الدَّهرِ يقسُو في رضاهُ ويَـرْأفُ[2]

فقُل للملوك الحاسِديهِ متى ادَّعى ... سباقَ العتيقِ الفائتِ الشَّأوِ مُقـرِفُ

يرى الشاعر أنه لا وجه للمقارنة بين المعتضد وحاسديه من الملوك، فلن يستطيعوا أن ينالوا مناله؛ لأنه أصيل، وهم غير أصلاء، ومتى استطاع جواد غير أصيل أن يدرك جوادًا أصيلاً سبَّاقًا؟ وقد قدم الشاعر المفعول به (سباق) المضاف إلى كلمة (العتيق) –الدالة على الأصالة – على الفاعل (مقرفُ) وهو المولود لأبوين مختلفين في الجنس، أي أنه غير أصيل، ولا شك أن الأصيل أعظم شأنا من غير الأصيل؛ لذا كان تقديمه أولى.

ومن ذلك قوله (من الكامل) [3]:

مَــنْ للنَّــدِيِّ إذا تنــازعَ أهلُــه ... فاســتَجْهَلتْ حلــماءَه الجُهَّــالُ[4]

البيت من قصيدة في رثاء الشاعر لصديقه أبي بكر بن ذكوان، ويتساءل: مَن الذي سيتصدر مجلس القوم بعد الفقيد، فيردَّ الجهَّال إذا أساءوا إلى الحلماء؟ وقد قدم الشاعر المفعول به (حلماءه) على الفاعل(الجهال) في البيت، فمعلوم أن الحليم أرفع شأنًا من الجاهل.

---

(١) الديوان: ٤٩٠.

(٢) الفرس العتيق: الرائع، والشأو: الغاية والأمد، والمقرف من الخيل: الهجين الذي ولد لأبوين مختلفين في الجنس. لسان العرب: ٩ / ٣٧ (ع ت ق)، ٧ / ١١٠ (ش أ ي)، ١١ / ١٢٦ (ق ر ف).

(٣) الديوان: ٥٣٤.

(٤) الندي: مجلس القوم. لسان العرب: ١٤ / ٩٨ (ن د ي).

وقال أيضًا (من الطويل) [1]:

فَديْتُك كم ألْقى الفواقِرَ من عِدًا ... قِرَاهُم لنيرانِ الفَسَادِ ثِقابُ[2]

عفا ـ عنهمُ قدْري الرفيعُ فأهْجرُوا ... وباينَهُم خُلْقي الجميلُ فعابُوا

وقد تُسْمِع الليثَ الجحاشُ نهيقها ... وتُعلي إلى البدرِ النُّباحَ كِلابُ

يعاني الشاعر الفتن والدسائس التي أحاطه أعداؤه وحساده بها، فقد نالوه بألسنتهم، وأقذعوا في هجائه، ولا عجب في ذلك فلربما نهقت الحمير على الآساد، ونبحت الكلاب على الأقمار، وهو في الأبيات يشبه نفسه بالليث، على حين يشبه أعداءه بالحمير، ولما كان الليث أعلى شأنًا من الحمير، قُدِّم المفعول به (الليث) على الفاعل (الجحاش) في البيت الثالث.

- الاهتمام بالمفعول به:

أشار النحاة والبلاغيون إلى أن المفعول به يقدم للاهتمام به، ذكر ذلك سيبويه في سياق حديثه عن تقديم المفعول به، فقال " كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعني، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم "[3]. ومن ذلك قول ابن زيدون (من الكامل) [4]:

صَنعُ الضَّمير إذا أجَالَ بمُهرَقٍ ... يُمْناهُ في مَهَلٍ وفي إبْشاكِ[5]

نظمَ البلاغةَ في خِلالِ سُطورِه ... نَظمَ اللآلي التُّومِ في الأَسْلاكِ

---

(١) الديوان: ٣٨٢.

(٢) الفواقر: جمع فاقرة وهي الداهية، وأهجروا: أفحشوا في القول. لسان العرب: ١٠/ ٣٠٠ (ف ق ر)، ١٥ / ٣٣ (هـ ج ر).

(٣) كتاب سيبويه: ١ / ٣٤، وانظر: شرح المفصل: ١ / ٧٦، الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ١ / ٢٠٧، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان. للسيوطي: ٤١.

(٤) الديوان: ٣٤٨.

(٥) صنع: حاذق ماهر، والمهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها، والإبشاك: الإسراع. لسان العرب:٧ / ٤٢ (ص ن ع)، ١٥ / ٧٩ (هـ ر ق)، ١ / ٤١٧ (ب ش ك).

نــادى مَــساعيَهُ الزمــانُ منافــسًا أحْــرزْتِ كُــلَّ فــضيلةٍ فكفــاكِ

يهنئ الشاعر أبا الوليد بن جهور بولايته الحكم، والشاعر في سياق الحديث عن صفات الأمير وأخلاقه وذكر مآثره وأفضاله، نراه يقدم المفعول به (مساعيه) في البيت الثالث؛ ليدل على أن هذه المآثر هي محور اهتمامه الذي يتحدث عنه.

وقال أيضا (من الطويل)[1]:

ومــاذا عليْهــا أن يُــسنِّي وصــلَها طعــانٌ فــإنْ لم يُغْنِنــا فــضِرَابُ

إن فتاة الشاعر تنتمي إلى قبيلة بدوية محافظة شديدة البأس، ذات عدة وعتاد، كما أن أهلها شديدو الغيرة؛ لذلك فإن الشاعر يجد صعوبة بالغة في الوصول إليها، وهو في سبيل الوصول إليها مستعد لأن يطاعن قومها بالرماح، فإن لم تُجْد الرماح، فسيبارزهم بالسيوف، ولما كان الوصول إلى فتاته هو الشغل الشاغل له؛ لذا نراه يقدم المفعول به (وصلها) على الفاعل (طعان)، لأن ما يهمه هو الوصول إلى محبوبته، بغض النظر عن الأسلوب المتبع في ذلك، سواء أكان ذلك عن طريق الطعن بالرماح، أم الضرب بالسيوف.

- **تحقير الفاعل**:

قدم الشاعر المفعول به وأخر الفاعل إمعانا منه في تحقير الفاعل والحط من شأنه، وكأنه لا يستحق أن يقع موقعه من حيث التقديم على المفعول به، من ذلك قوله (من الكامل)[2]:

وأشَــدُّ فاجِئــةِ الــدَّواهي مُحْــسِنٌ يَــسْعى ليُعلِقَــهُ الجريمــةَ مُجْــرِمُ

أراد أعداء الشاعر الوقيعة بينه وبين الأمير الجديد، ولكن الأمير كشف مؤامرتهم ولم يأبه لما دبروه. وهو يستنكر صنيعهم هذا، ويرى أن أفدح المصائب هي

(١) الديوان: ٣٦٩.
(٢) الديوان: ٣١٣.

التي يرمي المجرمُ بها المحسنَ زورًا وبهتانًا. لقد وصف الشاعر هؤلاء الأعداء بالمجرمين، ولا شك أن المجرم محتقر ممتهن من الناس، لذلك أخر الفاعل (مجرمُ) في البيت، فكما أن المجرم لا يستحق مكان الصدارة بين الناس، كذلك لا يستحق التقديم داخل التركيب.

وقال (من الطويل) [1]:

لَعَمْرك ما للمال أَسْعَى فإنَّما يَرى المالَ أَسْنَى حظِّه الطَّبعُ الوَغْدُ[2]

يقسم الشاعر للأمير بأنه لا يتقرب إليه بغية مال يكسبه؛ لأن المال هو أقصى غايات السفلة الأوغاد، وقد قدم مفعولي الفعل (رأى) (المال أسنى حظه) على الفاعل (الطبعُ الوغد)؛ لأن الدنس الدنيء الذي من شأنه التملق بغية كسب المال، لا يستحق إلا الازدراء والاحتقار، فأخره إمعانًا في تحقيره والحط من شأنه.

- **الاختصاص**: استعمل ابن زيدون تقديم المفعول به على الفاعل في سياق الاختصاص، إذ إن اقتران المفعول به بالفعل يؤكد اختصاصه بذلك الفعل دون غيره، من ذلك قوله (من الطويل) [3]:

ولَّما رأيتَ الغدْرَ هبَّ نسيمُهُ تلقَّاهُ إعْصارٌ لبطْشِكَ حرْجَفُ[4]

أظنَّ الأعادِي أن حَزْمَك نائمٌ لقد تَعِدُ الفسْلَ الظنونُ فتُخلفُ

يشيد الشاعر بفتك المعتضد بأمراء الأقاليم المجاورة له، والذين دبروا محاولة لاغتياله، ولكن الأمير استطاع كشف هذه المؤامرة والتخلص منهم، قبل تنفيذ مؤامرتهم، والشاعر هنا يصف هؤلاء الأعداء بالحمقى؛ لأنهم استجابوا لخيالاتهم

---

(١) الديوان: ٣٦٥.

(٢) الطبع: الدنس، والوغد: الأحمق الضعيف العقل الدنيء. لسان العرب: ٨ / ١٢٠ (ط ب ع)، ١٥ / ٣٥٠ (وغ د).

(٣) الديوان: ٤٩٢.

(٤) الحرجف: الريح الباردة، والفسل: الأحمق. لسان العرب: ٣ / ١١٠ (ح ر ج)، ١٠ / ٢٦٤ (ف س ل).

الواهمة، وظنونهم الكاذبة، وظنوا أن الأمير غافل عن كشف مؤامراتهم. إن تقديم المفعول به (الفسل) في البيت الثاني، واقترانه بالفعل (تعد) المؤكد بـ (لقد) يؤكد اختصاص الفعل بهذا المفعول دون غيره؛ لأن الأحمق هو الذي يستجيب لوعود ظنونه الكاذبة، وخيالاته الحمقاء.

ومن ذلك قول ابن زيدون (من الكامل) [1]:

نَفعَ العداةَ اليأسُ منكَ لأنَّه بَردَتْ عليه منهمُ الأكْبادُ

لقد يئس الأعداء من الأمير، فسكنوا إلى راحة اليأس، وفشلوا في مجاراته، فبعدوا عن حومة النضال[2]، وقد أدى تقديم المفعول به (العداة) على الفاعل (اليأس) إلى اقتصار هذا اليأس على الأعداء واختصاصه بهم دون غيرهم، أما لو قُدم الفاعل وأُخر المفعول به، فإن هذا اليأس قد يشمل الأعداء وغيرهم.

- التأكيد على المفعول به:

كان تقديم المفعول به على الفاعل وسيلة من وسائل الشاعر للتأكيد على المفعول به، كما في قوله (من الطويل) [3]:

فداءٌ لباديسَ النفوسُ وجادَه من الشُّكر في أُفقِ الوفاءِ غَمامُ

فما لحقتْ تلك العُهودَ مَلامةٌ ولا ذُمَّ من ذاك الحِفاظِ ذِمامُ

تعاهد أبو الوليد بن جهور وباديس بن حبوس -أمير البربر بغرناطة- على صد بني عباد عن قرطبة، والشاعر هنا يشير إلى تلك العهود، وفي سبيله للتأكيد عليها نراه يقدم المفعول به (تلك العهود) على الفاعل (ملامة) للتأكيد على حفظ تلك العهود، وأنها مرعية لا يلحقها نقض أو ملام.

---

(١) الديوان: ٤٦٣.

(٢) انظر: الديوان: ٤٦٣ هامش (٤).

(٣) الديوان: ٣٣٦.

ومن ذلك قوله (من الكامل) [1]:

ولـئنْ أَذالَـكَ بعـد طـولِ صـيانةٍ قَـدرٌ فكـلُّ مُـصونةٍ سـتُذالُ[2]
سـيحوطُ **مَـنْ خلَّفتَـه مُسْتبـصِرٌ** في حِفْـظِ مـا اسـتحفظْتَه لا يَـالُوا

يقف الشاعـر على قبـر صديقه أبي بكر بن ذكـوان ليرثيـه، ويخبـره ألا يقلـق على أهله؛ لأنهم سيكونون فـي كنف الأميـر الـذي سيحوطـهم بعطفـه ورعايتـه، وقـد استطـاع ابـن زيدون أن يؤكـد ذلك حينما أخـر الفاعـل (مستبـصر)، وقـدم عليه المفعول به (من خلفته) وقرنه بالفعل (يحـوط)؛ للتأكيـد عـلى أن أسرة الفقيـد ستكون من بعده في حفظ الأمير ورعايته.

- **التمـني**: أخـر الشاعـر الفاعـل وقـدم عليـه المفعـول بـه في سـياق التمنـي، وذلك في قوله (من الكامل)[3]:

للحـبِّ في تلـك القِبـابِ مَـرادُ لو ساعَفَ الكَلِفَ المـشوقَ مُـرادُ[4]

هاجر الشاعر من قرطبة إلى إشبيلية مكابـدًا الاغـتراب وفـراق أهلـه ومحبوبتـه، فيبرح به الشوق والهوى، ويتمنى أن يسعفه الأمل ويعود إلى قرطبة ليلقـى محبوبتـه، ولكنه يحس بابتعاد هذا الأمل عنه وصعوبة تحققه، وقـد وظـف التقـديم والتـأخير ليوحي بهذا المعنى، وذلك حين قدم المفعول به (الكلـف)، وأخـر الفاعـل (مـراد) وأبعده عن موقعه. إذ إن تأخير الفاعل وابتعاده عن موقعه الأصلي، ومجيئه في نهايـة البيت، يتوافق مع ابتعاد أمل الشاعر في لقاء محبوبته وصعوبة تحققه بعـد فـراره مـن السجن بقرطبة وهجرته إلى إشبيلية.

---

(١) الديوان: ٥٣٧.
(٢) ذال الشيء: هان، وأذال فلان فرسه وغلامه: أهانه. لسان العرب: ٥ / ٧٦ (ذ ي ل).
(٣) الديوان: ٤٤٧.
(٤) المراد: هو المكان الذي يذهب فيه ويجاء. لسان العرب: ٥ / ٣٦٥ (ر ود).

وقال أيضا (من الطويل) [1]:

فلو صَرفَتْ صَرْفَ المَنونِ جلالةٌ لكُنْتَ بِمْحيَا من تودُّ مُمَتَّعَا

البيت من قصيدة في رثاء أم المعتضد، ولكي يخفف الشاعر من وطأة المصيبة على المعتضد، يتمنى أن لو كان الجلال يدفع قضاء الموت ويرده، لصدَّه جلالُ الأمير فتمتع بحياة والدته [2]، ولكن محال أن يرد أحد قضاء الموت. وقد أخر الفاعل (جلالة) في البيت للدلالة على استحالة قيامه برد قضاء الموت.

- **إبراز المعنى**: قدم الشاعر المفعول به على الفاعل وقرنه بالفعل ليبرز المعنى ويعمقه لدى السامع. وذلك في قوله (من الطويل) [3]:

حَليمٌ تلافَى الجاهلين أناتُهُ إذ الحِلْمُ عن بعضِ الذُّنوبِ عِقابُ

يتودد الشاعر إلى الأمير، متبرئا إليه من الفتن والدسائس التي أحاطت به، وفي هذا السياق يصفه بالحلم والعفو عن الجاهلين المذنبين، فالعفو عنهم قد يكون عقابا لهم. لقد قدم الشاعر المفعول به (الجاهلين) وقرنه بفعله (تلافى). مما أعطى إحساسا بمدى هيبة الأمير وخشية بأسه وغضبه، فإذا كان الجاهلون يخشون حلمه وعفوه ويعدُّونه عقابا، فكيف إذا ذاقوا غضبه وبأسه. أما لو أخر المفعول به فقال (حليم تلافى أناته الجاهلين) فإنه بذلك يكون قد أبعد المفعول به عن الفعل الواقع عليه، مما يقلل من فاعلية الإحساس بالمعنى المراد.

وقال أيضا (من الطويل) [4]:

أمَحْجوبةٌ ليلى ولم تَخضُبِ القَنا

ولا حَجَبَتْ شمسَ الضَّحاءِ القَساطِلُ [5]

---

(١) الديوان: ٥٥٨.
(٢) انظر: الديوان: ٥٥٨ هامش (٤).
(٣) الديوان: ٣٧٦.
(٤) الديوان: ٣٨٨.
(٥) القسطل: الغبار. لسان العرب: ١١ / ١٦١ (ق س ط ل).

يريد الشاعر الوصول إلى محبوبته التي يحول دون الوصول إليها قومها، وهم شديدو البأس والغيرة، ولكي يبلغ الشاعر مراده، سيخوض حربا عنيفة مع قومها تختضب فيها الرماح بالدماء، وتحتجب فيها الشمس من وفرة الغبار المتطاير من سنابك الخيل [1]. إن اقتران المفعول به (شمس الضحاء) بالفعل (حجبت) جعل السامع يتصور شدة هذه المعركة ويحس هولها وسرعة الانقضاض فيها، لدرجة أن شمس الضحى – وهي أشد أوقات الشمس سطوعا وتوهجا – سوف تحتجب عن الأعين لكثرة الغبار المتطاير من ساحة المعركة. أما لو قال (ولا حجبت القساطل شمس الضحاء) لقلل ذلك من الإحساس بشدة هذه المعركة؛ لأنه بذلك يكون قد أبعد الشمس عن الحجب، حين يسند الفعل مباشرة إلى القساطل.

ثانيا: تقديم جملة القول على الفاعل:

تقع جملة القول مفعولا به [2]؛ لذلك يجوز فيها من التقديم والتأخير ما يجوز في المفعول به. وقد ورد تقديم جملة القول على الفاعل في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الخفيف) [3]:

قال لي اعْتَلَّ من هويتَ حسودٌ قُلتُ أنت العَليلُ ويْحك لاَ هُو

ظهرت علامات المرض على وجه محبوبة الشاعر، فصاغ فيها مجموعة من الأبيات، وفي هذا البيت قدم جملة القول (اعتل من هويت) على الفاعل (حسود) ولا شك أن اعتلال صحة محبوبته هو محور اهتمامه، والمسيطر على عقله ووجدانه، فكان الأولى بالتقديم. كما أن في تأخير الفاعل (حسود) امتهانا وحطا من قدره.

ثالثا: تقديم المفعول به الملتبس بضمير الفاعل عليه:

أجاز النحاة أن يتقدم المفعول به المتصل بضمير الفاعل على الفاعل، فأجازوا نحو: خاف ربَّه عمر، وضرب غلامَه زيدٌ، بتقديم المفعول به المضاف إلى ضمير

(١) انظر: الديوان: ٣٨٨ هامش (٣).
(٢) انظر: مغنى اللبيب: ٢ / ٥٨.
(٣) الديوان: ١٢٤.

الفاعل، والفاعل متأخر عنه في اللفظ؛ وذلك لأن المفعول به في المعنى مؤخر عن الفاعل، فإذا وقع في غير موضعه، فالنية فيه التأخير إلى موضعه، ويكون الضمير حينئذ عائدا على متأخر لفظا لا معنى، وذلك جائز[1].

ومن ذلك قول الشاعر[2]:

نَـال الخلافـةَ إذ كانـت لـه قـدرًا كـما أتـى ربَّـه موسـى عـلى قَـدرِ

فقد تقدم المفعول به (ربه) المتصل بضمير الفاعل على الفاعل (موسى)؛ لأن الضمير وإن عاد على متأخر لفظًا فإنه متقدم في الرتبة.

وقد ورد تقديم المفعول به المتصل بضمير الفاعل على الفاعل في شعر ابن زيدون، والشاعر حينئذ يكون مخيرا بين تقديم الفاعل أو تقديم المفعول، ولكن يؤثر تقديم المفعول، وذلك في قوله (من الكامل)[3]:

إيهًا بنـي ذَكْـوانَ إن غَلـبَ الأسَـى فلكُـم إلى الـصَّبر الجميـل مـآلُ[4]

إن كانَ غابَ البَـدرُ عـن سَـاهورِهِ مـنكم وفـارقَ غابَـه الرِّئبـالُ

لقد فجع الموتُ شاعرنا في رفيق طفولته وصديقه القاضي أبي بكر بن ذكوان، وهو هنا يدعو بني ذكوان إلى التحلي بالصبر، ولا شك أنه يعيش حالة حزن شديد لفراق صديقه، وقد ساعد تقديم المفعول به (غابه) وتسليط فعل المفارقة عليه مباشرة على إبراز تلك الحالة، كما أنه بهذا التقديم يريد أن يقرر لبني ذكوان

---

(١) انظر: المقتضب: ٢ / ٦٩، ٤ / ١٠٢، شرح المفصل: ١ / ٧٦، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٨، شرح التصريح: ١ / ٨٣، شرح الأشموني: ٢ / ٥٨

(٢) البيت لجرير (من البسيط) والشاهد فيه جواز تقديم المفعول الملتبس بضمير الفاعل (ربه) على الفاعل (موسى). والبيت في ديوان جرير: ٢١١، شرح التصريح: ١ / ٢٨٣، شرح الأشموني: ٢ / ٥٨، شرح شواهد العيني: ٢ / ٥٨.

(٣) الديوان: ٥٣٨.

(٤) الساهور: دارة القمر، وهو للقمر كالغلاف للشيء. لسان العرب: ٦ / ٤١٠ (س هـ ر).

حقيقة أصبحت واقعة الآن، وليس لهم سبيل فيها إلا التحلي بالصبر الذي هو من صفات المؤمنين المتقين.

وقال أيضا (من الطويل) [1]:

ولم يَنْتجعْهُ المُعْتفون فأقْبلَتْ عَطَايا كما والَى شآبيبَهُ القَطْرُ[2]

البيت من قصيدة يرثي بها الشاعر المعتضد، ويذكر مآثره وأفضاله، وكيف كان مقصد الطلاب يفدون عليه، فتتوالى عليهم عطاياه كالأمطار. ولا شك أن تقديم المفعول به (شآبيبه) على الفاعل (القطر) قد أوحى بكرم الأمير وكثرة عطاياه وهباته لرعيته، كما أوحى الضمير المتصل بالمفعول والعائد على الفاعل بتواصل هذه العطايا والهبات دون انقطاع، أما لو قال (كما والى القطر شآبيبه) لافتقدنا ذلك التواصل الذي أوحى به تقديم المفعول به، وبالتالي يقلل من فاعلية المعنى الذي يريده الشاعر.

رابعًا: تقديم المفعول به المحصور (بإلا) على الفاعل:

أشار بعض النحاة منهم أبو موسى الجزولي (٦٠٧ هـ) وجماعة من المتأخرين إلى وجوب تأخير المفعول المحصور (بإلا) عن الفاعل، نحو: ما ضرب زيدٌ إلا عمرًا. في حين أجاز البصريون، والكسائي والفراء وابن الأنباري من الكوفيين تقدم المفعول به المحصور بـ (إلا) على الفاعل، نحو: ما ضرب إلا عمرًا زيدٌ؛ لأن المفعول به وإن تقدم فهو على نية التأخير [3]، واحتجوا لمذهبهم بقول الشاعر[4]:

---

(١) الديوان: ٥٦٦.

(٢) الانتجاع: طلب المعروف، والمعتفون: طلاب الفضل، والشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر. لسان العرب: ١٤/ ٥٥١ (ن ج ع)، ٩ / ٢٩٥ (ع ف ا)، ٧ / ٥ (ش أ ب).

(٣) انظر: شرح التصريح: ١ / ٢٨٢، همع الهوامع: ١ / ١٦١، شرح الأشموني: ٢ / ٥٧، ٥٨.

(٤) البيت من الطويل: لدعبل الخزاعي، والشاهد فيه: تقديم المفعول المحصور بـ (إلا) (جماحا) على الفاعل (فؤاده)، والبيت في ديوان دعبل بن على الخزاعي. جمع وتحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٢م: ٣٤٩، شرح التصريح: ١ / ٢٨٢، همع الهوامع: ١ / ١٦١، شرح الأشموني: ٢ / ٥٧، شرح شواهد العيني: ٢ / ٥٧.

ولَّـــا أبَـــى إلا جِماحًـــا فُـــؤادُه ولم يـسْلُ عـن لـيلى بـمالٍ ولا أهـلِ

حيث قدم المفعول المحصور بـ (إلا) وهو (جماحا) على الفاعل (فؤاده)، وكذلك قوله [1]:

تَـزوَّدْتُ مـن لـيلى بتكْلـيم سـاعةٍ فـما زادَ إلا ضـعفَ مـا بي كلامُهـا

فقدم المفعول المحصور بـ (إلا) وهو (ضعف) على الفاعل (كلامها).

وإذا كان النحاة قد عالجوا مسألة تقديم المفعول المحصور بـ (إلا) عـلى الفاعـل من منطلق يجوز أو لا يجوز؛ فإن معالجة عبد القاهر الجرجاني لهذه المسألة كانت مـن زاوية فنية، فقد ألحَّ على فكرة الاختصاص التي يفيدها تقديم المحصور فاعلا كـان أو مفعولا، فقال" واعلم أنك إن عمدت إلى الفاعل والمفعول فأخرتهما جميعا إلى مـا بعد (إلا)، فإن الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي (إلا) منهما. فإذا قلت: ما ضرب إلا عمرٌو زيدًا، كان الاختصاص في الفاعل، وكان المعنى أنك قلـت: إن الـضَّارب عمرٌو لا غيره، وإن قلت: ما ضرب إلا زيدًا عمرٌو، كان الاختـصاص في المفعـول، وكان المعنى أنك قلت: إن المضروبَ زيدٌ لا مَن سواه " [2].

والحقيقة إن قصر دلالة تقديم المحصور على الاختصاص فقط. يعد تـضييقا لمـا يمكن أن يستنبط من النص من دلالات وإيحاءات أخرى تفهم من خـلال الـسياق وما يصاحبه من قرائن.

وقد ورد تقديم المفعول به المحصور بـ (إلا) على الفاعل في شـعر ابـن زيـدون، وذلك في قوله (من الطويل)[3]:

---

(١) البيت من الطويل لمجنون بني عامر، والشاهد فيه تقديم المفعول به (ضعف) المحصور بـ (إلا) عـلى الفاعل (كلامها)، والبيت في ديوان مجنون ليلى. جمـع وتحقيـق: عبـد الـستار أحمـد فـراج. دار مـصر للطباعة: ٢٥٠، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٦، شرح التصريح: ١ / ٢٨٢، همـع الهوامـع: ١ / ١٦١، شرح الأشموني: ٢ / ٥٧، شرح شواهد العيني: ٢ / ٥٧.

(٢) دلائل الإعجاز: ٣٤٤.

(٣) الديوان: ٣٦٩.

وكم راسلَ الغيرانُ يُهْدِي وعيدَه فما راعَهُ إلا الطُّروقَ جوابُ[1]

تنتمي فتاة الشاعر إلى قبيلة بدوية محافظة شديدة البأس والغيرة حتى من الخيالات والأحلام، والشاعر لا يستطيع الوصول إلى فتاته التي يحميها فرسان مستعدون بالخيول والسلاح، وقد هدَّد وليُّ هذه الفتاة شاعرنا، وتوعَّده بالموت إذا حاول زيارتها، ولكن الشاعر لم يأبه لهذه التهديدات؛ بل فاجأهم بالقدوم ليلًا، ولم يصدَّه عن الوصول إليها أسنة الرماح ولا الخيول المطهمة، وفي سياق الحديث عن القدوم المباغت الذي قام به الشاعر، نجده يقدم المفعول به المحصور بـ (إلا) وهو (الطروق) على الفاعل (جواب) مما حقق عنصر المفاجأة على نحو لم نكن نتوقعه أو يتوقعه وليُّ هذه الفتاة الذي ظنَّ أن تهديداته ستحول بين الشاعر وفتاته، أما لو قال: فما راعه جواب إلا الطروق، فإن التركيب بذلك سيجري على النمط المألوف الذي نفتقد معه عنصر المفاجأة الذي أفاده التقديم.

خامسًا: تقديم المفعول به على نائب الفاعل:

يجوز تقديم المفعول به على نائب الفاعل، كما جاز تقديمه على الفاعل فإن "شئت قدمت وأخرت فقلت: كُسيَ الثوبَ زيدٌ، وأُعطِيَ المالَ عبدُ الله، كما قلت: ضرب زيدًا عبدُ الله، فأمره في هذا كأمر الفاعل" [2].

وقد ورد تقديم المفعول به على نائب الفاعل في شعر ابن زيدون في موضعين، جاءا في سياق إبراز المفعول به والتأكيد عليه، وذلك في قوله (من البسيط) [3].

إن طالَ في السِّجن إيداعِي فلا عَجَبٌ قد يُودَعُ الجفنَ حدُّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

أي: إن طالت مدة مكثي في السجن، فلا عجب في ذلك؛ لأنني كالسيف المصقول الذي يَقرُّ في غمده، ثم لا يلبث أن يُسل عند الشدائد والأهوال [4]، إن

(١) الطروق: المجيء ليلًا. لسان العرب: ٨ / ١٥٢ (ط ر ق).
(٢) كتاب سيبويه: ١ / ٤٢، وانظر: المقتضب: ٤ / ٥٣.
(٣) الديوان: ٢٥٥.
(٤) انظر: الديوان: ٢٥٥، هامش (١).

الشاعر بتقديمه المفعول به (الجفن) يؤكد على أنه وإن كان أمره الآن ليس بيديه؛ لأنه مودع السجن لا يستطيع منه فكاكا، فإنه مهما طال سجنه – لا محالة – سينعم بالحرية.

وقال أيضا (من الطويل) [1]:

وما الرُّزْءُ في أن يُودَعَ التُّربَ هالكٌ بل الرُّزْءُ كُلُّ الرُّزْءِ أن يُهْلَكَ الأَجْرُ

البيت من قصيدة يرثي بها الشاعر أبا الحزم بن جهور، وقد قدم المفعول به (التربَ) على نائب الفاعل (هالك)؛ ليؤكد على أن الأمير قد مات وصار مقبورًا في التراب حتى لا يجزع أهله ويضيع منهم ثواب الصبر، فليست المصيبة في موت الأمير، ولكن المصيبة أن نجزع عليه فنفقد ثواب الصبر، فنبوء بخسرانين: موت الأمير، وضياع الثواب.

سادسًا: تقديم المفعول به على الفعل:

الأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن يتقدم الفعل ويتأخر عنه المفعول به منفصلًا عنه بالفاعل[2]، إلا أن النحاة يشيرون إلى جواز تقدم المفعول به على الفعل، فيقال " ضربتُ زيدًا، وزيدًا ضربتُ، وأكلتُ خبزًا، وخبزًا أكلتُ، وضربتْ هندُ عمرًا، وعمرًا ضربتْ هندُ، وغلامُك أخرجَ بكرًا، وبكرًا أخرجَ غلامُك " [3]، ومنه قوله تعالى ﴿ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ [4].

أما البلاغيون فراحوا يبحثون عما وراء تقديم المفعول به على الفعل من غايات، فنراهم يشيرون إلى فكرة الاختصاص التي يفيدها هذا التقديم، فذهبوا إلى أن في قولك: زيدًا ضربت، تخصيصًا له بالضرب دون غيره، بخلاف قولك: ضربت

---

(١) الديوان: ٥٢٨.

(٢) انظر: شرح المفصل: ١ / ٧٦، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٠.

(٣) الأصول في النحو: ١ / ١٧٤، وانظر: الخصائص: ٢ / ٣٨٤، شرح التصريح: ١ / ٢٨٤، همع الهوامع: ١ / ١٦٦، شرح الأشموني: ٢ / ٥٥، حاشية الخضري: ١ / ١٦٥.

(٤) سورة البقرة: ٨٧.

زيدًا، فإذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول: ضربت زيدًا أو بكرًا أو خالدًا [1]، وإلى ذلك ذهب الزمخشري في تعليقه على قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، فقال "وتقديم المفعول لقصد الاختصاص"[3]. بيد أن فكرة الاختصاص لا تطرد في كل موضع يظهر فيه التقديم؛ فإن هذه الأغراض تختلف باختلاف السياقات وظروف وملابسات الكلام.

ولم يرد تقديم المفعول به على الفعل في شعر ابن زيدون سوى في موضع واحد فقط، وذلك في قوله (من الكامل) [4]:

إن اغْترِبْ فَمواقِعَ الكَرمِ الذي ... في الغَرْبِ شِمْتُ بُروقَه أرْتادُ[5]

البيت من قصيدة أنشدها الشاعر بعد هجرته من قرطبة إلى إشبيلية حيث يحيا في كنف آل عباد، ويرى أن إقامته في كنف المعتضد بن عباد هي التي ستحقق له آماله التي يتطلع إليها، وقد أضفى تقديم المفعول به (مواقع الكرم) على فعله (أرتاد) على الأسلوب تأكيدًا حيث إن الشاعر يعيش في إشبيلية في ظل أمير عظيم جدير بتحقيق آماله وطموحاته التي يتطلع إليها، أما لو التزم الترتيب النمطي للجملة، لافتقدنا نبرة التأكيد التي صاحبت عملية التقديم.

سابعًا: تقديم المفعول المطلق على الفاعل:

الفعل والفاعل كجزئي كلمة؛ لذلك فإن الأصل أن يتقدم الفعل، ثم يتلوه

---

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢ / ١٧٢، الجامع الكبير: ١٠٩، الفلك الدائر: ٤ / ٢٤٥، الطراز للعلوي: ٢٣٥، الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ١ / ٢٠٥، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٣٦.

(٢) سورة الفاتحة: ٥.

(٣) الكشاف: ١ / ٦١.

(٤) الديوان: ٤٥٣.

(٥) شام السحاب والبرق شيما: نظر إليه، وارتاد: طلب الكلأ. لسان العرب: ٧ / ٢٦٢ (ش ي م)، ٥ / ٣٦٥ (ر و د).

الفاعل متصلا به غير منفصل؛ لأنه يتنزل من الفعل منزلة الجزء، فهما كالشيء الواحد، ثم يليهما المفعول به ـ إن وجد ـ ثم بقية مكملات الجملة [1].

وقد خالف ابن زيدون هذا الأصل وجاء بالمفعول المطلق مقدما على الفاعل، وذلك في قوله (من الكامل)[2]:

أعْزِزْ بأنْ يَنْعَاكَ نَعْيَ شَماتةٍ للأولياءِ المعْشرُ الأَقْتالُ

لقد فجع الشاعرَ موتُ رفيق طفولته وصديقه القاضي أبي بكر بن ذكوان، حيث يعز عليه أن يشمت في موته الأعداء، وأن ينقلوا نعيه للأصدقاء. وقد قدم المفعول المطلق (نعي شماتة) على الفاعل (المعشر الأقتال)؛ لأنه محور تركيزه، والمسيطر على فكره، فإن ما يشغله هو كيف يشمت هؤلاء الأعداء لموت القاضي أبي بكر؛ كما أن تأخير الفاعل ومجيئه في آخر البيت، أوحى بمدى امتهان الشاعر لهم، وانحطاط قدرهم بسبب تصرفهم هذا، وكأنهم بذلك لا يستحقون مكان الصدارة مع الأولياء والأصدقاء، وإنما مكانهم أن يكونوا في المؤخرة دائمًا.

ثامنًا: تقديم الظرف على الفاعل أو نائب الفاعل:

أشار المبرد إلى أن " الظرف حدُّه أن يكون بعد الفاعل " [3]؛ لأنه " لما كان الظرف أحد المفعولات كان حكمه حكم المفعول " [4]، وحكم المفعول في الأصل أن يتأخر في رتبته عن الفعل والفاعل، إلا أن النحاة أجازوا تقدمه على الفاعل؛ لذلك جاز أن يتقدم الظرف على الفاعل وعلى الفعل؛ لأنه في حكم المفعول به، فيقال " قام عندك زيدٌ، وعندك قام زيدٌ، وسار يوم الجمعة جعفرٌ، ويوم الجمعة سار جعفرٌ " [5].

---

(١) انظر: المقتضب: ١ / ١٩، شرح المفصل: ١ / ٧٦، الكافية في النحو: ١ / ٧١، شرح ابن عقيل: ١ / ٤١٠، همع الهوامع: ١ / ١٦١، شرح الأشموني: ٢ / ٥٥.

(٢) الديوان: ٥٣٥.

(٣) المقتضب: ٤ / ١٠٢.

(٤) شرح المفصل: ٢ / ٤٧.

(٥) الخصائص: ٢ / ٣٨٤.

وقد ورد تقديم الظرف على الفاعل أو نائبه في شعر ابن زيدون، وذلك للدلالة على المعاني الآتية:

- **الاختصاص**: كما في قول ابن زيدون (من البسيط) [1]:

هـل تـذكُرونَ غريبًـا عـادهُ شَـجَنُ من ذكركُم وجَفا أَجْفانَه الوسَـنُ[2]

يُخفِـي لَواعجَـه والـشَّوقُ يفْـضَحهُ فقـد تَـساوى لديْـه الـسِّرُّ والعَلَـنُ

فرَّ الشاعر من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، وهناك هلَّ عليه العيد، فأنس كلٌّ إلى أهله وسعد بوطنه، ولكنه رأى نفسه نازحًا عن وطنه، نائيًا عن أهله، يعاني آلام الفرقة والاغتراب، يحاول أن يتماسك ويخفي آلام لوعته وحنينه إلى أهله ووطنه؛ ولكنه لا يستطيع ذلك، فشوقه وحنينه إلى الأهل والوطن يفضحانه. وتبوء محاولاته بالفشل، حتى يصل إلى حالة من اليأس تجعل إسرار آلامه أو إعلانها سواء لديه. لقد أوحى تقديم الظرف (لديه) على الفاعل (السر والعلن) بأن تساوِي السر والعلن في هذه الحالة لا يخص إلا الشاعر فقط، ولا ينصرف إلى غيره. فالإسرار والإعلان لا يتساويان عند سائر الناس، ولكن الشاعر– وهذه حاله– يتساوى عنده إسرار آلامه وإعلانها. أمَّا لو تأخر الظرف عن الفاعل، فإن ذلك سيوحي بأن هذه الحالة لا تخص الشاعر فقط، بل تنطبق عليه وعلى غيره.

ومن ذلك قوله (من الكامل) [3]:

إن الـذي قَـدَرَ الحـوادثَ قَـدْرَها سَاوى لديْـه الـشُّهْدَ منهـا العلْقَـمُ

إن الشَّهد لا يمكن أن يتساوى مع العلقم عند سائر الناس، ولكن تقديم الظرف (لديه) أفاد اختصاص الأمير بهذه المساواة؛ لأن من يتعمق في فهم الأمور، ويدقق النظر في فلسفة الحياة – كالأمير – يجد الحلو فيها كالمُرِّ، والشقاء كالنعيم، فلا يغتر

---

(١) الديوان: ١٦٢.

(٢) الشجن: الهم والحزن. لسان العرب: ٧ / ٣٨ (ش ج ن).

(٣) الديوان: ٣١٢.

الإنسان بالظاهر، فكثيرا ما تتكشف بواطن الأمور عما يناقض ظواهرها[1]، لذلك لم يستمع الأمير إلى كلام المقربين إليه الذين أرادوا الوقيعة بينه وبين الشاعر. ولم ينخدع بقربهم منه، فالداني منه كالقاصي حتى يتكشف الأمور.

- **بيان الحال**: وذلك في قوله (من الطويل) [2]:

سَلِ المعْشرَ الأعداءَ إن رُمتَ صَرْفَهُم عن القَصْدِ إن أعْياكَ منه مَرامُ

أتَوْكَ كآسادِ الشَّرَى فردَدْتَهمْ كما أجْفَلتْ وسْط الفَلاةِ نَعامُ

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور الذي نجح في صدِّ بني عباد عن قرطبة، ويصف بني عباد بأنهم جاءوا إلى قرطبة متنمرين كالأسود فصدَّهم الأمير عنها، فعادوا مذعورين كالنعام. وقد أوحى تقديم الظرف (وسط الفلاة) على الفاعل (نعام) بحالة الضياع والتخبط التي انتابت بني عباد، فأشبهوا النعام التائه في الصحراء.

- **التركيز على التحديد المكاني للحدث**: كما في قوله (من الطويل) [3]:

ولم يُثْنِنا أن الرَّبابَ عَقيلةٌ تَساندُ سعدٌ دُونها ورِبابُ[4]

وأن رُكَزتْ حول الخُدورِ أسنَّةٌ وحُفَّت بِقُبِّ السَّابحاتِ قِبابُ

لم يثْنِ الشاعرَ عن الوصول إلى فتاته، أنها من قبيلة شديدة البأس والغيرة، وأن قبيلتي سعد والرباب تساندتا في الدفاع عنها وحمايتها، كما لم تثنه الرماح والخيول المطهمة التي تحيط بقبتها، وقد أعطى تقديم الظرف والمضاف إليه (حول الخدور) تأكيدا على تحديد مكان الأسلحة والخيول التي تحميها، فهي تحيط بقبتها وتحميها من أطماع الطامعين، بما يصعب على الشاعر الوصول إليها.

---

(١) انظر: الديوان: ٣١٢ هامش (٥).

(٢) الديوان: ٣٣٥.

(٣) الديوان: ٣٧٠.

(٤) العقيلة من النساء: الكريمة. لسان العرب: ٩ / ٣٣٠ (ع ق ل).

- **التركيز على التحديد الزمني للحدث**: كما في قوله (من الطويل) [1]:

عَـزائمُ يَنْـصاعُ العِـدا عـن مُمِرِّهـا كما رُهِبتْ يـومَ النِّـضالِ رِهـابُ [2]

يمدح الشاعر أبا الوليـد بـن جهـور، ويقـول: إن للأمـير عزمـات قويـة، وآراء سديدة محكمة يتحاماها الأعداء، كما يتحامون الأسلحة الفتاكة يوم القتال [3]. وقـد قدم الشاعر الظرف (يوم النضال) على نائب الفاعل (رهـاب) للتركيـز عـلى زمـان الحدث، فهو يشبه خوف الأعداء من الأمير بخوفهم من الأسـلحة الفتاكـة، وهـذه الأسلحة لا تظهر قوتها إلا في أيام الحرب.

ومن ذلك قوله (من الكامل) [4]:

هيهــات لا عَهْــدٌ كعهــدِكَ عَائــدٌ إذ أنــت في وجــهِ الزَّمــانِ جَمَــالُ

فاذهبْ ذَهابَ الـبرْءِ أعْقَبـهُ الـضَّنى والأمْــنَ وافَــتْ بَعــدَه الأوْجَــالُ

البيتان من قصيدة في رثاء الشاعر لصديقه أبي بكر بن ذكوان، وهو لـشدة حبـه لصديقه يرى أنه لن يظفر بعهد مثل عهده، ولا بمودة مثل مودته، فقد رحل رحيـل الشفاء الذي أعقبه الداء، وغادر الدنيا مغادرة الأمان الذي حلـت بعـده المخـاوف والأهوال [5]، وقد قدم الظرف (بعـده) عـلى الفاعـل (الأوجـال) للتركيـز عـلى أن المخاوف والأهوال لم تحل بهم إلا بعد رحيل القاضي ابن ذكوان.

تاسعًا: تقديم الظرف على الفعل:

الظرف قوى الارتباط بالفعل، ولقوة هذا الارتباط؛ فإنـه لا يـشترط لـه موقـع معين مع الفعل، فيجوز أن يتقدم عليه أو يتـأخر؛ لأنـه يتوسـع في الظـرف والجـار

---

(١) الديوان: ٣٧٦.

(٢) انصاع: مرَّ مسرعا، والمرَّة: قوة الخلق وشدته. والرهاب: جمع (رَهْب) وهو النصل الرقيق من نصال السهام. لسان العرب: ٧ / ٤٤١ (ص وع)، ١٣ / ٧٤ (م ر ر)، ٥ / ٣٣٨ (ر هـ ب).

(٣) انظر: الديوان: ٣٧٦ هامش (١).

(٤) الديوان: ٥٣٦.

(٥) انظر: الديوان: ٥٣٦ هامش (٥، ٦).

والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما، وقد أتاحت حرية موقع الظرف صورًا متعددة للجملة الفعلية، مما يتيح ثراء دلالاتها وتنوعها[1].

وقد قدم ابن زيدون الظرف على الفعل، مع أن حقه في الترتيب أن يكون بعد الفاعل، وذلك في قوله (من السريع)[2]:

مُعتضدٌ بالله إحْسانُهُ جمٌّ إذا ما الدَّهرُ يومًا أَسَا

قدم الشاعر الظرف الزمني (يومًا) على الفعل (أسا)، للتأكيد على إمكان حدوث الإساءة من الدهر، وذلك بتقديم زمان الفعل؛ فالمخاطب قد يخالجه الشك في حدوث الحدث المتمثل في إساءة الدهر إلى الإنسان، فيعمد الشاعر إلى التأكيد على إمكان حدوث الحدث بتقديم زمانه.

وقال أيضًا (من الطويل)[3]:

فَما قبلَ مَنْ أَهْوى طَوى البدْرَ هودجٌ

ولا ضَمَّ ريمَ القَفْرِ خِدْرٌ مُسَجَّفُ[4]

ولا قبلَ عبادٍ حَوَى البْحرَ مجلسٌ

ولا حملَ الطَّودَ المُعظَّمَ رَفْرفُ

قدم الشاعر الظرف في البيتين، والتقدير: فما طوى البدر هودج قبل من أهوى، ولا حوى البحر مجلس قبل عباد. وتقديم الظرف هنا يشير إلى تأكيد الشاعر على أنه ليس هناك من يقارن بمحبوبته أو بالأمير، فلم ير بدرا يركب هودجا، ولا ظبيا يحل

---

(١) انظر: بناء الجملة العربية: ١٢٥.

(٢) الديوان: ٢٢٧.

(٣) الديوان: ٤٨٥، ٤٨٦.

(٤) الريم: الظبي الأبيض الخالص البياض، وخدر مسجف: مسدول عليه الأستار، والرفرف: ثياب خضر يتخذ منها للمجالس. لسان العرب: ٥ / ٣٩٥ (ر ي م): ٦ / ١٨٠ (س ج ف)، ٥ / ٢٧٣ (ر ف ف).

بيتا مصونا بالأستار قبل حبيبته، كما أنه لم ير مجلسا يضم البحار، ولا بساطا يحمل الجبال قبل الأمير، فالأمير ومحبوبته متفردان لا يناصيهما أحد.

عاشرًا: تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالفعل وما يشبهه في الجملة الفعلية:

الجار والمجرور من متعلقات الجملة الفعلية، إذ " لابد من تعلقهما بالفعل أو ما يشبهه، أو ما أوِّل بما يشبهه، أو ما يشير إلى معناه، فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجودًا قدِّر "[1].

والترتيب الطبيعي للجار والمجرور في الجملة الفعلية أن يكونا بعد الفاعل، قياسا على الظرف؛ لأن الجار والمجرور بمنزلة الظرف[2]، وحد الظرف أن يكون بعد الفاعل[3]. يضاف إلى ذلك أن هناك من النحاة من اعتبر الجار والمجرور بمثابة المفعول به، ففي تعليقه على قول زهير بن أبي سُلمى[4]:

وهل يُنبتُ الخطِّيُّ إلا وشيجهُ وتُغرسُ إلا في منابتها النَّخْلُ

قال خالد الأزهري (٨٦٩ هـ): " فقدم الجار والمجرور وهو بمثابة المفعول المحصور بإلاَّ على نائب الفاعل وهو النخل "[5]. فالترتيب الأساسي للجملة الفعلية إذن أن تبدأ بالفعل متلوا بالفاعل متصلا به غير منفصل ثم بقية مكملات الجملة.

ولقوة ارتباط الجار والمجرور بالفعل توسع النحاة في استعماله، فلم يلتزموا له موقعا معينا، فتارة يتقدم على الفعل، وتارة يتقدم على الفاعل قياسا له على

---

(١) مغني اللبيب: ٢ / ٨٧.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ٤٠٩.

(٣) انظر: المقتضب: ٤ / ١٠٢.

(٤) من الطويل، والبيت في ديوان زهير بن أبي سلمى. بشرح أبي العباس ثعلب. الدار القومية للطباعة والنشر. نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤ م: ١١٥، شرح التصريح: ١ / ٢٨٢.

(٥) شرح التصريح: ١ / ٢٨٢.

المفعول به والظرف اللذيْن أجاز النحاة تقديمهما على الفعل والفاعل. وبذلك فإن شبه الجملة " تتمتع بمرونة تتيح للمتكلم الحرية في استعمالها وفق ما يقتضيه الحال "[1].

أما البلاغيون فيعدون تقديم الجار والمجرور وسيلة من وسائل التخصيص إذا كان الكلام في الإثبات، كقولك: إن إليَّ مصير هذا الأمر، فإن ذلك يدل على أنه ليس مصير هذا الأمر إلا إليك. أما إذا تأخر الجار والمجرور فقلت: إن مصير هذا الأمر إليّ. فإن ذلك لا يفيد الاختصاص لاحتمال وقوع الكلام بعد الجار والمجرور على غيرك[2]. واستشهدوا على ذلك بآيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى ﴿لإِلَى الله تُحْشَرُونَ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ أَلاَ إِلَى اللهَّ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾[4]، قال العلوي "فهذَه الظروف لا وجه لتقديمها على عَاملها إلا ما ذكرناه من الاختصاص"[5].

أما إذا كان الكلام في النفي، فإن تقديم الجار والمجرور يكون لتفضيل المنفي على غيره، كقوله تعالى ﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[6]، أي أنه ليس في خمر الجنة ما في خمور غيرها من الغول[7].

إن ما ذهب إليه البلاغيون من قصر إفادة تقديم الجار والمجرور على غرض الاختصاص وتفضيل المنفي في حالتي الإثبات والنفي، لا يمكن أن يطرد في سائر أنماط تقديم الجار والمجرور. إذ إن المعاني المستفادة من حالات التقديم تختلف

---

(١) الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني: ٢٤٠.

(٢) انظر: المثل السائر: ٢ / ١٧٣، الفلك الدائر على المثل السائر: ٤ / ٢٥٧، الجامع الكبير: ١١٠، ١١١، الإيضاح في علوم البلاغة: ١ / ٢٠٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٨.

(٤) سورة الشورى: ٥٣.

(٥) الطراز: ٢٣٦.

(٦) سورة الصافات: ٤٧.

(٧) انظر: الطراز: ٢٣٧، الفلك الدائر: ٤ / ٢٥٩، البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٣٧.

باختلاف السياقات الواردة فيها، فالسياق وما يصاحبه من قرائن هو الذي يوجه دلالة التركيب، ويبين مراد المتكلم.

وقد تعددت صور تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالفعل وما يشبهه، وتنوعت في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

*** تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالفعل عليه:**

ورد تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالفعل عليه في شعر ابن زيدون محققا بهذا التقديم الأغراض الآتية:

- **إبراز الصورة وتمثلها لدى السامع**: كما في قوله (من الطويل) [1]:

غدا بخميسٍ يُقسمُ الغيمُ إنَّه لأجْفَلُ منه مُكْفهِرًّا وأكْثَفُ[2]

هُو الغيمُ من زُرْق الأسِنَّةِ برقُه وللطَّبلِ رعدٌ في نَواحِيهِ يُقْصَفُ

استطاع المعتضد كشف مؤامرة أمراء الأقاليم المجاورة له، والفتك بهم. والشاعر يرسم صورة لجيش المعتضد في المعركة، فهو جيش كثيف، كثير العدد كالسحاب المتراكم الممتلئ بالماء، تبرق فيه أسنة الرماح الزرقاء، وتدوِّي الطبول كالرعد القاصف. وقد أعطى تقدم الجار والمجرور(في نواحيه) المتعلق بالفعل (يقصف) عليه إحساسا لدى السامع بصوت الطبول وهي تقرع الآذان كالرعد، كما أتاح تقدم شبه الجملة أن تقترن بكلمة (رعد)، فكأن صوت الرعد يجلجل في كل ناحية من نواحي الجيش على نحو يبرز معه معنى القوة واضحا. أما لو قال (وللطبل رعد يقصف في نواحيه) فلربما أحس السامع بانتهاء مشهد الجيش عند حد القصف، دون أن يشمل ذلك سائر نواحي الجيش، وتكون شبه الجملة بذلك قليلة الأهمية.

---

(١) الديوان: ٤٩٥.

(٢) الخميس: الجيش الجرار. لسان العرب: ٤ / ٢١٧ (خ م س).

ومن القصيدة نفسها يقول (من الطويل) [1]:

وعُدْنا إلى القَصْر الـذي هـو كَعْبـةٌ يُغاديـه منَّـا نـاظرٌ أومُطـوِّفُ[2]

فإذْ نحـن طالعْنـاه والأُفـقُ لابـسٌ عجاجَتَه والأرضُ بالخيـلِ تَرْجُـفُ

إن تقـديم الجـار والمجـرور (بالخيـل) عـلى الفعـل (ترجـف) واقترانـه بكلمـة (الأرض) أوحى بأن خيول جيش المعتضد قد ضـاق بهـا المكـان لكثرتهـا، ولم يعـد هناك مكان تتحرك فيه، فكأنها من فرط كثرتها وتزاحمها يبدو للنـاظر إليهـا أنهـا قـد التصقت بالأرض، في حين سيختفى هذا المعنى إذا أخر الشاعر الجار والمجرور عن الفعل.

- **الاختصاص**: كما في قول ابن زيدون (من البسيط)[3]:

يا من غدوتُ به في النـاسِ مُـشْتَهِرًا قلبي عليـكَ يُقَـاسِي الهـمَّ والفِكَـرَا

حيث قدم الجار والمجرور (عليك) على الفعل (يقاسي)، وقد أوحي هذا التقديم باستئثار محبوبته بتفكيره فيها ومقاساته همومه بشأنها.

وقوله (من الطويل) [4]:

عليْـكَ أبـا بكـرٍ بكـرتُ بهمَّـةٍ لهـا الخَطَـرُ العـالي وإن نالهَـا حَـطُّ

فرَّ الشاعر من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، ومن هنـاك أرسـل إلى أسـتاذه أبي بكـر مسلم بن أفلح النحـوي يطلـب شـفاعته لـدى الأمـير. وتقـديم الجـار والمجـرور (عليك) على الفعل (بكرت) يعني أن الشاعر يخص أبا بكر – دون غيره – ليشفع له عند الأمير.

---

(١) الديوان: ٤٩٦.
(٢) العجاج: الغبار، لسان العرب: ٩ / ٥٤ (ع ج ج).
(٣) الديوان: ١٧٢.
(٤) الديوان: ٢٨٨.

ومن ذلك قوله (من الكامل) [1]:

نَفْسي فِداؤكَ أيُّها الملكُ الذي كلُّ الملوكِ لهُ العلاءَ تُسْلِمُ

أوحى تقديم الجار والمجرور (له) على الفعل (تسلم) باختصاص الملك (المعتمد ابن عباد) بانقياد جميع الملوك له، وتسليمهم إليه مقاليد الزعامة.

- **المدح والتعظيم**: كان تقديم الجار والمجرور على الفعل وسيلة من وسائل الشاعر في إضفاء التعظيم على الجار والمجرور المتقدم، ومن ذلك قوله (من الرمل)[2]:

يا بني جهورٍ الدُّنيا بِكُم حَلِيتْ أيَّامُها بَعْد العَطَلْ[3]

حيث قدم الشاعر الجار والمجرور (بكم) على الفعل (حليت) لاتصاله بضمير يعود على بني جهور، مما جعلنا نشعر بنبرة تعظيمه لهم، وزاد من الإحساس بذلك أنه كرر اسم بني جهور مرتين، مرة عن طريق الاسم الظاهر، ومرة عن طريق الضمير العائد إليه. أما لو قال: يا بني جهور الدنيا حليت أيامها بكم بعد العطل. فإنه يكون قد أبعد الضمير المتصل بالجار والمجرور عما يعود إليه، مما سيقلل من نبرة التعظيم التي أحدثتها عملية التقديم والتأخير.

وقال أيضا (من الطويل) [4]:

بكم باهَتِ الأرضُ السماءَ فأوجُهٌ شُموسٌ وأيدٍ في المحُولِ سحابُ[5]

قدم الشاعر الجار والمجرور(بكم) المتعلق بالفعل(باهت)عليه؛ وذلك لاتصاله بضمير يعود على بني جهور.

---

(١) الديوان: ٣١٦.
(٢) الديوان: ٣٤١.
(٣) العطل: التجرد من الزينة. لسان العرب: ٩ / ٢٧١ (ع ط ل).
(٤) الديوان: ٣٧٧.
(٥) المحول: احتباس المطر. لسان العرب: ١٣ / ٣٩ (م ح ل).

- **إذا كان الجار والمجرور هما مصدر الحدث**: كما في قوله (من الطويل) [1]:

لِرزْئِـكَ تَنْهـلُّ الـدموعُ فمثلُـه ... إذا حلَّ ودَّ القلبُ لـو كـان مَـدْمَعا

البيت من قصيدة في رثاء الشاعر لأم المعتضد، وقد قدم الجار والمجرور (لرزْئك) على الفعل(تنهل)؛ لأنه مصدر الحدث المتمثل في موت أم المعتضد، وهو المقصود من إنشاء الجملة بعده، وهو الذي تتجه إليه ألفاظ وتراكيب الشاعر في هذا البيت والأبيات التالية له، وكأن الشاعر يريد إبراز أثر حادثة الموت على الناس.

ومن ذلك قوله (من المتقارب) [2]:

وأَنْـذِرْ خَليلَـكَ مـن مَـاهرٍ ... بطـبِّ الجنُـونِ إذا مـا عَـرضْ [3]

....

....

وأشْـعِرْهُ أنِّي انْتَخبْـتُ البـديلَ ... وأعْلمـهُ أنِّي اسْـتجَدْتُ العِـوضْ

فـلا مَـشْربي لِقـلاه أَمـرَّ ... ولا مَـضْجعِي لنَـواهُ أقَـضْ

الأبيات من قصيدة كتبها الشاعر إلى أبي عامر بن عبدوس – منافسه في حب ولادة – يريد منه أن يخبر ولادة أنه اتخذ بديلا خيرا منها، واستعاض عنها بأخرى، فشرابه لم يتكدر لبعدها، ونومه لم يتبدد لهجرها[4]، وقد قدم الشاعر الجار والمجرور (لقلاه، لنواه) على الفعلين (أمرَّ، أقضَّ)؛ لأنهما مصدر الحدث المتمثل في مرارة المشرب، وتبدد النوم، كما أنهما يؤديان دورا رئيسيا في المعنى، وهما المسيطران على عقل الشاعر، فبغض محبوبته له، وبعدها عنه هما ما يشغلان عقله ووجدانه.

---

(١) الديوان: ٥٤٩.

(٢) الديوان: ٥٨٩.

(٣) القلى: البغض، وأقض عليه المضجع: خشن. لسان العرب: ١١/ ٢٩٢، ٢٠٥ (ق ل ا)، (ق ض ض).

(٤) انظر: الديوان: ٥٨٩ هامش (٢، ٣).

- **التركيز على تحديد مكان الفعل**: وذلك في قوله (من الطويل)[1]:

لـئن أُتْبعـتْ منَّـا غمامـةُ رحمـةٍ لقـد ظلَّلـتْ ذاك الـسَّريرَ المُرَفَّعَـا

سريـرٌ بـأمْلاكٍ وزُهْـرِ ملائـكٍ إلى جنَّـةِ الفـردوسِ راح مُـشيَّعَا

البيتان في رثاء أم المعتضد، حيث يقول الشاعر: إن غمائم الرحمات قد ظللت نعشها، وشيعها الملائكة الأبرار إلى جنة الفردوس. وقد أعطى تقديم الجار والمجرور (إلى جنة الفردوس) على الفعل (راح) تأكيدا على تحديد مثوى الفقيدة، وأنها من أصحاب الجنة.

- **التهديد والوعيد**: وذلك في قوله (من المتقارب)[2]:

أَرى كُـلَّ بَحـرٍ أبـا عَـامرٍ يُـسرُّ إذا في خَـلاءٍ رَكَـضْ[3]

أُعيـذُكَ مِـنْ أن تَـرَى مِنْزَعـي إذا وَتَـري بالمنايـا انْقَـبضْ

يهدد الشاعر أبا عامر بن عبدوس بأنه سوف يتعرض لسهامه القاتلة إذا جذب القوس لإطلاقها. وقد أتاح تقديم الجار والمجرور (بالمنايا) على الفعل (انقبض) اقتران المنايا بالوتر، مما أعطى إحساسا بأن الموت مصاحب لقوسه ملتصق به، لا يفارقه، فيكون القتل مصير من يصاب بسهامه. أما إذا تقدم الفعل على الجار والمجرور (إذا وترى انقبض بالمنايا) فإنه سيفصل حينئذ بين الوتر والمنايا، مما سيقلل من فاعليه الإحساس بالمعنى المراد.

- **التأكيد على الحدث**: استخدم ابن زيدون تقديم الجار والمجرور على الفعل في سياق التأكيد على حدوث الحدث وتحققه، كما في قوله (من الطويل)[4]:

---

(١) الديوان: ٥٥١.

(٢) الديوان: ٥٨٤.

(٣) المنزع: السهم الذي يرمى به أبعد ما يقدر عليه. لسان العرب: ١٤/ ١٠٧ (ن ز ع).

(٤) الديوان: ٣٦٥.

لعمــرُك مــا للــمالِ أَسْــعَى فــإنَّما يَرى المالَ أَسْـنَى حظِّـهِ الطَّبِـعُ الوغْـدُ
ولكــنْ لحــالٍ إن لبــستُ بجمالَهَــا كسوتُكَ ثَوْبَ النُّصحِ أَعلامُهُ الْـحَمْدُ

سعيا من الشاعر لإثبات أنه لا يتقـرب للأمـير بغيـة مـال يتكـسبه – فهـو غايـة السفلة الأوغاد – وإنما يسعى لبلوغ منزلة سامية لديه، نراه يستخدم وسائل عديـدة للتأكيد على ذلك، كان تقديم الجار والمجرور إحـداها، فيقـسم بـذلك مؤكـدا هـذا القسم باللام، ثم يقدم الجار والمجرور (للمال) على الفعل (أسعى)، ومـن الملاحـظ أن الشاعر استخدم ثلاثة عناصر للتوكيد، جاءت كلها متواليـة لينفـي أي شـك في نواياه. أما إذا تقدم الفعل على الجار والمجرور ليصير التركيـب (لعمـرك مـا أسـعى للمال) فإنه بذلك يكون قد فـصل بـين عنـاصر التوكيـد المتواليـة، ممـا سـيقلل مـن فاعليتها، وربما خالج السامع شك في نية الشاعر. كما أن تأخير الفعل جعـل حـرف النفي (ما) مسلطا على الجار والمجرور (للمال) ليقيد بذلك نفي السعي وراء المـال – وهو ما يعيب الشاعر ويحط من قدره– في حين تـرَكَ فعـل الـسعي حـرًّا غـير مقيـد بالنفي؛ لأن السعي لبلوغ منزلة سامية لدى الأمير لا يعـيب شأنـه ولا يحـط مـن قـدره.

ويقول أيضا (من الطويل) [1]

مَواهــبُ فيَّــاضِ اليــدَيْنِ كــأَنَّما من المُزْنِ تُمْرَى أو من البحرِ تُغْـرفُ[2]

البيت من قصيدة في مدح الشاعر للمعتضد، حيث يشيد بكرمه وعطاياه، كـأنما يستنزل هباته من السحاب أو يستمدها من البحر، وقد قدم الجـار والمجـرور (مـن المزن، من البحر) على الفعلين (تمرى، تغرف) وذلك للتأكيد على كرم الأمير وعـدم توقف عطاياه؛ لأنها إما مستمدة من السحاب أو من البحر، ومحال أن يجـف البحـر

(١) الديوان: ٤٩٨.
(٢) تمرى: تستخرج أو تستحلب من مرى الناقة: أي مسح ضرعها لتدر اللبن. لسان العـرب: ١٣/ ٨٩ (م ر ا).

أو يتوقف السحاب عن إنزال المطر. وبالتالي لن يتوقف عطاء الأمير إلا إذا توقف السحاب أوجف البحر. أما لو قدم الفعلين فقال: تمرى من المزن أو تغرف من البحر. فربما انصرف الذهن إلى التركيز على الحدثين فقط دون التركيز على مصدريهما، مما سيقلل من الإحساس بمدى كرم الأمير.

*** تقديم الجار والمجرور على الفاعل أو نائبه:**

ورد تقديم الجار والمجرور على الفاعل في شعر ابن زيدون، وقد حقق هذا التقديم المعاني الآتية:

- **المدح والتعظيم**: كما في قوله (من الكامل)[1]:

يا مَنْ شَأَى الأمْثَالَ منهُ واحدٌ ضُرِبتْ به في السُّؤْدَدِ الأمثالُ[2]

البيت من قصيدة في رثاء الشاعر لصديقه أبي بكر بن ذكوان. وقد قدم الجار والمجرور (في السؤدد) على نائب الفاعل (الأمثال)، وفي هذا التقديم تعظيم للراحل، فقد فاق أمثاله من العظماء، حتي صار مضربا للأمثال في السؤدد والكمال.

وقال أيضا (من الطويل)[3]:

حذَارَكَ من أن يُعْقِبَ الرُّزْءُ فِتنَةً يضيقُ لها عن مثلِ أَخلاقِكَ العُذْرُ

البيت من قصيدة يعزي فيها ابن زيدون أبا الوليد بن جهور في أمه، وقد قدم الجار والمجرور(عن مثل أخلاقك) على الفاعل (العذرُ)، وفي هذا التقديم مدح لأخلاق الأمير التي تأبى أن ينساق مع الحزن إلي غايته حتى لا ينجم عن مصابه في أمه فتنة يضيق عنها العذر، وبخاصة لمن يتسم بأخلاق كريمة كأخلاق الأمير.

---

(١) الديوان: ٥٣٣.

(٢) شأي: سبق. لسان العرب: ٧/ ١٠ (ش أ ي).

(٣) الديوان: ٥٣٩

- **الاختصاص**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

كـــرامٌ يمـــدُّ الراغبـــون أكفَّهـــمُ ... إلى أَبْحـــرٍ مـــنهم لهـــا باللُّهـــا مَـــدُّ

فلا يُنْـعَ مِـنهُم هالـكٌ فهـو خَالـدٌ ... بآثـــارِه إنَّ الثَّنـــاء هُـــوَ الخُلْـــدُ

يمدح الشاعر بني جهور، فهم في كرمهم وعطائهم كالبحار تمتد أيدي الراغبين للنهل منها؛ لذلك لا ينبغي أن ينعى أحدهم إذا مات؛ لأن آثاره وما صيغ فيه من ثناء كفيلان له بالخلود. وقد قدم الجار والمجرور (منهم) على نائب الفاعل (هالك)؛ لأن عدم النعي عند الموت لا يخص سوى بني جهور فقط، ولا ينطبق على غيرهم.

وقوله (من الطويل) [2]:

رأيتُـك جـاراكَ الـوَرَى فَغلبْـتَهُم ... لذلك جـرْيُ المُـذْكياتِ غِـلابُ [3]

فَقـرَّتْ بهـا مـن أَوليائِـكَ أَعْـينٌ ... وذلَّـتْ لهـا مـن حَاسِـدِيكَ رِقَـابُ

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور، فيقول: لقد باراك الناس فغلبتهم، وسابقوك فسبقتهم، وهذا السبق أَقَرَّ عيون أصدقائك وأخزى قلوب أعدائك [4]. وقد قدم الجار والمجرور (من أوليائك) على الفاعل (أعين)، كما قدم الجار والمجرور (من حاسديك) على الفاعل (رقاب)، وقد كشف هذا التقديم عن اختصاص أصدقاء الأمير بالغبطة وقرار العين بهذا الانتصار على نحو يوحي بحبهم لأميرهم. كما كشف عن اختصاص حاسديه بالخزي والذل على نحو يكشف عما يضمرونه للأمير من حقد وكراهية.

ومثل ذلك قوله (من المتقارب) [5]:

---

(١) الديوان: ٣٥٧.

(٢) الديوان: ٣٧٨

(٣) المذكيات: الخيل التي أتي عليها بعد قروحها سنة أو سنتان. لسان العرب: ٥/ ٥١ (ذ ك ا)

(٤) انظر: الديوان: ٣٧٨ هامش (١، ٢)

(٥) الديوان: ٤١٤.

أَبُـوهُ الـذي فَـلَّ غَـرْبَ الـضَّلالِ ولاءَم شـعْبَ الهُـدَى فالْتـأَمْ[1]

ولاذَ بـــه الـــدينُ مُستَعـــصِمًا بذمَّـــةِ أَبْلـــجَ وافي الـــذِّممْ

يتقرب الشاعر بهذه القصيدة إلى الأمير أبي الوليد بن جهور حينما عزله من السفارة، ويقول: لقد سرت على نهج أبيك – أبي الحزم بن جهور – الذي قضى على الضلال، وأصلح ما انشعب من الهدى، وقوى به الدين حينما لاذ به طالبا حمايته [2]، وقد أوحى تقديم الجار والمجرور (به) على الفاعل (الدين) باختصاص الأمير أبي الحزم بالحدث، فالدين لا يلوذ بأي أحد، بل لابد أن يكون مجاهدا ورعا تقيا، يحفظ العهود ويرعى الحرمات، وهي الصفات التي تتوافر في الأمير.

– **إذا كان الجار والمجرور مصدر الحدث:** كما في قوله (من البسيط) [3]:

إن كـان عـادَكُم عيـدٌ فَـرُبَّ فَتـىً بالشَّوقِ قد عادهُ من ذكرِكُم حَـزَنُ

البيت من قصيدة صاغها الشاعر بعد فراره من قرطبة إلى إشبيلية، حيث هل عليه العيد، وأنس كل إلى أهله، وسعد بوطنه، ولكنه وجد نفسه نائيا عن وطنه، بعيدا عن أهله. فأخذ يتذكر أيامه الخوالي التي قضاها في وطنه وبين أهله. وقد قدم الجار والمجرور (من ذكركم) على الفاعل (حزن)؛ لأن هذا التذكر هو مصدر آلامه وأحزانه، وهو ما ينغص عليه حياته التي يحياها غريبا عن وطنه وأهله.

وقال أيضا (من الطويل) [4]:

ومـا بـكَ مـن فَقْـرٍ إلى نَـصْرِ نَـاصرٍ كَفتـكَ مـن الله الكَـلاءةُ والنَّـصْرُ[5]

---

(١) فلَّ: كَسَر، والغَرْب: حد كل شيء، والأبلج: المشرق الوجه. لسان العرب: ١٠ / ٣٢٤، (ف ل ل)، ١٠ / ٣٤ (غ ر ب)، ١/ ٤٧٧ (ب ل ج).

(٢) انظر: الديوان: ٤١٣ هامش (٤)، ٤١٤ هامش (١).

(٣) الديوان: ١٦٣.

(٤) الديوان: ٥٢٨.

(٥) كَلأه: حفظه وحرسه. لسان العرب: ١٢ / ١٣٢ (ك ل أ).

يرى الشاعر أن أبا الوليد بن جهور لا يحتاج لنصرة أحد، فالله– سبحانه – خير حافظ وخير ناصر، وقد قدم الجار والمجرور(من الله) على الفاعل(الكلاءة والنصر)؛ لأن الله عز وجل مصدر العناية والنصر، ومنه يستمد العون.

– **بيان السبب**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

تَولَّتْ فأبْقَتْ من مُجابِ دُعائها نَفَائسَ ذُخْرٍ ما يقاسُ به ذُخْرُ

تَتمُّ به النُّعْمى وتَتَّسِقُ المنَى وتُسْتَدْفعُ البلْوى ويُستَقْبلُ الصَّبرُ

البيتان من قصيدة في رثاء الشاعر أم أبي الوليد بن جهور، وقد قدم الجار والمجرور (به) العائد على قوله (من مجاب دعائها) على الفاعل (النعمى)، وقد أوحى هذا التقديم بأن دعاء الأميرة الراحلة لابنها أبي الوليد، هو السبب في تمام نعم الله عليه، وتحقيق آماله، ودفع البلاء عنه، وصبره في البأساء والضراء.

– **إبراز الصورة**: وذلك في قوله (من الطويل) [2]:

سَتعْتَامُهُمْ في البرِّ والبحْرِ بالتَّوَى كتائبُ تُزْجَى أو سَفَائنُ تُجْدَفُ[3]

إن تقديم الجار والمجرور (في البر والبحر بالتوى)، جعل السامع يتمثل صورة جيش المعتضد وهو مطبق على الأعداء من شتى النواحي، برا وبحرا يقذفهم بالهلاك، على نحو يوحي بكثافة الجيش، وضيق المكان على الأعداء، كأنهم لا يجدون منفذا يفرون منه. أما لو قال الشاعر: ستعتامهم كتائب تزجى أو سفائن تجدف في البر والبحر بالتوى. فلربما وقف السامع بتمثله هذه الصورة عند قوله (تجدف)، ولا يكون للجار والمجرور عندئذ أي دور في إبراز الصورة، وتكون إضافتهما بعد ذلك عديمة القيمة، فمعلوم أن الكتائب لا تكون إلا في البر، والسفن لا تكون إلا في البحر. ومن هنا كان للتقديم والتأخير دوره في إبراز صورة الجيش.

---

(١) الديوان: ٥٤٦.

(٢) الديوان: ٤٨٧.

(٣) اعتام الشيء: اختاره، والتَّوى: الهلاك، وتُزْجي: تُساق. لسان العرب: ٩ / ٥٠٤ (ع ي م)، ٢ / ٦٧ (ت وا)، ٦ / ٢٤ (ز ج ا).

وقوله (من البسيط) [1]:

فإن يكفروا النُّعْمَى فتلك دِيَارُهمْ بسيفِكَ قاعٌ صَفْصَفُ الرَّسْمِ تُنْسَفُ[2]

وطيِّ الثَّرَى مَثْوًى يكونُ قُصارُهُمُ وإن طالَ منهُم في الأَداهِمِ مَرْسَفُ

لقد دبر أمراء الأقاليم محاولة لاغتيال المعتضد، ولكنه كشف مؤامرتهم وفتك بهم، فقد كفروا أنعمه وخانوه، فكان تخريب أوطانهم ودك حصونهم وهلاكهم هو الجزاء العادل لهم، وقد قدم الشاعر الجار والمجرور (في الأداهم) على الفاعل (مرسف) تصويرا لهيئتهم وهم مكبلون بالقيود على نحو يكشف عن مدى الإذلال الذي لاقوه جزاء ما اقترفوه من إثم في حق المعتضد.

- **إبراز الحالة النفسية للشاعر**: كان للتقديم والتأخير دور بارز في إبراز حالة الشاعر النفسية، كما في قوله (من الطويل) [3]:

أبا الحزْمِ قد ذابتْ عليك من الأسَى قُلوبٌ مُنَاها الصَّبرُ لو سَاعَد الصَّبْرُ

البيت من قصيدة من رثاء الشاعر لأبي الحزم بن جهور، وقد قدم الجار والمجرور (عليك) على الفاعل (قلوب)؛ ليعمق الإحساس بمشاعر الحزن والأسى التي تعتصر قلب الشاعر وقلوب الرعية حزنًا على فراق أبي الحزم، أما لو قال: قد ذابت قلوب عليك من الأسى، لخفف ذلك من شدة الإحساس الذي ينتاب الشاعر والرعية؛ وذلك لابتعاد الجار والمجرور المتعلقين بالفعل عنه.

ومن ذلك قوله (من الطويل) [4]:

ظَعَنْتَ وكان الحرُّ يُجْفَى فيظْعنُ

---

(١) الديوان: ٤٩٣.

(٢) أرض صَفْصَفٌ: ملساء مستوية لا نبات فيها، والأدهم: القيد، والمرسف: مشي المقيد. لسان العرب: ٧/ ٣٦٤ (ص ف ف)، ٤/ ٤٣٠ (د هـ م)، ٥/ ٢١١ (ر س ف).

(٣) الديوان: ٥٢٦.

(٤) الديوان: ١٣٧.

وأصْبحتُ أسْلو بالأسى حين أَحْزنُ

وقرَّ على اليأسِ الفؤادُ المُوَطَّنُ

فر الشاعر من قرطبة إلى إشبيلية، حيث عاش غريبا وحيدا، يعاني مرارة الفراق والهجران، حتى أصابه اليأس من العودة إلى وطنه. وهو هنا يكشف لنا عن معاناته حين قدم الجار والمجرور (على اليأس) على الفاعل (الفؤاد)، حيث أتاح هذا التقديم لكلمة (اليأس) أن تقترن بالفعل الدال على الاستقرار والثبات، فقد سكن قلبه وثبت على اليأس من العودة، وكأن اليأس قد صار جزءا لا يتجزأ من حياة الشاعر، ولا يكاد يفارقه. أما لو قال: وقرَّ الفؤاد الموطن على اليأس، فإن الجار والمجرور سيبتعدان عن الفعل؛ مما سيقلل من الشعور بمعاناة الشاعر.

- **المبالغة والتهويل**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

جوادٌ متى اسْتَعْجلْتَ أُولَى هِباتِه كفاكَ من البحْرِ الخِضَمِّ عبابُ

يمدح الشاعر أبا الوليد بن جهور ويصفه بالكرم وكثرة العطايا، وقد قدم شبه الجملة (من البحر الخضم) على الفاعل (عباب) تحقيقا لمعنى المبالغة، فهو يصف الأمير في كرمه وكثرة عطاياه وهباته بالبحر الزاخر بالأمواج.

- **الاستحالة**: وذلك في قول ابن زيدون (من البسيط) [2]:

فما اسْتَعضْنَا خليلاً منكِ يَحْبِسُنا ولا استفدْنا حبيبًا عنكِ يُثْنينَا

ولو صَبا نَحْونا من عُلوِّ مَطْلعِه بدرُ الدُّجَى لم يكنْ حَاشاكِ يُصْبِينَا

البيتان من قصيدة أنشدها الشاعر بعد فراره من سجنه بقرطبة إلي إشبيلية، ولكن هواه جذبه إلى محبوبته بقرطبة، فيؤكد أنه باق علي وفائه لها، لن يستعيض عنها بصديق آخر، ولن يتخذ حبيبا سواها. حتى لو فُرض ومال البدر عليه من مشرقه

(١) الديوان: ٣٧٣.

(٢) الديوان: ١٤٧.

العالي، ما استطاع أن يجعله يميل إلا إليها. وقد قدم الجار والمجرور(من علو مطلعه) على الفاعل(بدر الدجى) تحقيقا لمعنى الاستحالة، فكما أنه من المستحيل أن ينزل البدر من مشرقه العالي، فإنه من المستحيل أيضًا أن يتخذ الشاعر حبيبًا سواها، مما يوحي بأن الشاعر حريص عليها، وفيٌّ لعهده معها.

- **بيان المآل**: وذلك في قوله (من الكامل)[1]:

ولئنْ تَجَنَّبْتُ الرَّشادَ بغَدْرةٍ لم يَهْوِ بِي في الغيِّ غيرُ هَواكِ

قدم الشاعر الجار والمجرور (في الغي) على الفاعل (غير هواك) بيانًا لما آل إليه حاله، ففي حين كان وفيًّا لعهد ولادة، إذا بها تغدر به وتتنكر لعهوده، فكان شقاؤه وبلاؤه، وانشغاله بها عن معالي الأمور، ووقوعه في الضلال نتيجة هواه لها.

- **التبرئة ودفع التهمة**: وذلك في قوله (من البسيط)[2]:

لم أُوتَ في الحالِ من سَعْيي لديْك ونًى بل بالجُدودِ تطيرُ الحالُ أو تَقَعُ[3]

البيت من قصيدة أنشدها الشاعر حينما ثارت فتنة بقرطبة ضد أبي الوليد بن جهور، وقد لفحت جذوتها ابن زيدون، ففزع إلى الأمير متبرئًا من هذه الفتنة، وقد قدم الجار والمجرور (من سعيي لديك) على نائب الفاعل (ونى)، وفي هذا التقديم دفع للتهمة عن نفسه، فلم يُقصِّر في سعيه إليه، ولم يتوان في خدمته، كما نشعر في هذا التقديم أيضًا بنبرة استعطاف الشاعر للأمير لنيل عطائه وإحسانه، وتقريبه منه.

*** تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالمصدر عليه:**

الأصل ألا يتقدم المعمول على العامل، والمصدر يعمل عمل فعله من حيث إنه يرفع فاعلًا وينصب مفعولًا، ولكن الفعل أصل في العمل عن المصدر، بينما المصدر

---

(١) الديوان: ٣٤٦.

(٢) الديوان: ٣٠١.

(٣) الوني: الضعف والفتور والإعياء. والجدُود: الحظوظ. لسان العرب: ١٥ / ٤١٠ (ون ي)، ٢ / ١٩٨ (ج د د).

فرع عليه، وبالرغم من أن النحاة أجازوا تقدم معمول الفعل عليه؛ فإنهم منعوا تقدم معمول المصدر عليه، وذلك " لأنه عند العمل مؤول بحرف مصدري مع الفعل، والحرف المصدري موصول، ومعمول المصدر في الحقيقة معمول الفعل الذي هو صلة الحرف، ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول " [1]، إلا أنه يُتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما، وأنهما يكفيهما رائحة الفعل للتعلق به " حتى إنه يعمل فيهما ما هو في غاية البعد من العمل كحرف النفي في قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [2]، فقوله: (بنعمة ربك) متعلق بمعنى النفي، أي انتفى بنعمة الله وبحمده منك الجنون " [3]. ورغم هذا التوسع في الظرف والجار والمجرور، وورود شواهد كثيرة من القرآن الكريم ورد فيها الجار والمجرور المتعلقان بالمصدر مقدمين عليه، فإن هناك من منع تقدم معمول المصدر الجار والمجرور عليه، وراحوا يبحثون عن تأويلات وتخريجات تصرف ما ورد في القرآن الكريم إلى أوجه إعرابية تجعل الجار والمجرور متعلقين بغير المصدر لتقدمهما، ففي تعليق الزمخشري على قوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [4]، قال: " لا يجوز أن يتعلق بالباء في (بالوالدين) (بالإحسان) لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته " [5]، وقيل إن الباء في (بالوالدين) متعلقة بقضى، ويجوز أن تكون متعلقة بفعل محذوف تقديره: أوحى، أي وأوحى بالوالدين إحسانا[6].

وإلى الرأي ذاته أشار أبو حيان، وذلك في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ [7]، حيث أشار إلى أن " ليلة ليس بظرف لأُحلَّ، إنما هو من حيث المعنى ظرف للرفث وإن كانت صناعة

---

(١) الكافية في النحو: ٢ / ١٩٥.
(٢) سورة القلم: ٢.
(٣) الكافية في النحو: ٢ / ١٩٥، وانظر: بناء الجملة العربية: ١١٥.
(٤) سورة الإسراء: ٢٣.
(٥) الكشاف: ٢ / ٤٤٤.
(٦) انظر: البحر المحيط: ٧ / ٣٤.
(٧) سورة البقرة: ١٨٧.

النحو تأبى أن تكون انتصاب ليلة بالرفث؛ لأن الرفث مصدر، وهو موصول هنا، فلا يتقدم معموله لكن يقدر له ناصب "[1]. كما ذهب أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾[2]، إلى أن (عنها) لا يجوز أن تتعلق بـ (محيصا)، وإن كان المعنى عليه لأنه مصدر[3].

يفهم من تعلقيات الزمخشري وأبي حيان أنهما يمنعان تقديم معمول المصدر عليه بحجة أن المصدر موصول، والجار والمجرور صلته، والصلة لا تتقدم على المصول، إلا أننا نجدهما في موضعين آخرين يناقضان مذهبهما الذي ذهبا إليه، فينصان على جواز تقدم معمول المصدر عليه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾[4]، قرأ الحسن (وأُدخلُ الذين)، أي (وأنا أدخِلُهم)[5]، علَّق الزمخشري على هذه القراءة بقوله " الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله (بإذن ربهم) بما بعده، أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم: يعني أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم "[6]، فأجاز تقدم الجار والمجرور (بإذن ربهم) المتعلقين بالمصدر (تحيتهم) عليه. ولا يخفى ما في هذا الكلام من تناقض مع ما سبق أن أشار إليه الزمخشري في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[7].

أما أبو حيان فذكر عدة تأويلات لتعلق الجار والمجرور في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَّ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[8].

---

(١) البحر المحيط: ٢ / ٢١١.
(٢) سورة النساء: ١٢١.
(٣) انظر: البحر المحيط: ٤ / ٧٣.
(٤) سورة إبراهيم: ٢٣.
(٥) انظر: المحتسب: ١ / ٣٦١.
(٦) الكشاف: ٢ / ٣٧٦.
(٧) سورة الإسراء: ٢٣.
(٨) سورة البقرة: ٨٣.

فذكر خمسة أوجه لتعلق الجار والمجرور (بالوالدين)، وهي على الترتيب كما يلي[1]:

- **الوجه الأول**: أن يكون معطوفا على (لا تعبدون) وذلك على تأويله بالمصدر المكون من الحرف المصدري والفعل، أي: إفراد الله بالعبادة وبر الوالدين.
- **الوجه الثاني**: أن يكون متعلقا (بإحسانا) ويكون (إحسانا) مصدرا موضوعًا موضع فعل الأمر، والتقدير: وأحسنوا بالوالدين.
- **الوجه الثالث**: أن يكون العامل محذوفا، والتقدير: وأحسنوا، أو يحسنون بالوالدين.
- **الوجه الرابع**: أن يكون العامل محذوفا، والتقدير: واستوصوا بالوالدين.
- **الوجه الخامس**: أن يكون العامل محذوفا، والتقدير: ووصيناهم بالوالدين.

وبعد أن ذكر أبو حيان هذه الأوجه، نص على اختيار الوجه الثاني بقوله "والمختار الوجه الثاني لعدم الإضمار فيه، ولاطراد مجيء المصدر في معنى فعل الأمر"[2].

ولا شك أن اختيار أبي حيان الوجه الثاني، وهو تعلق الجار والمجرور بالمصدر رغم تقدمهما عليه، يناقض ما سبق أن أشار إليه في عدم جواز تقدم معمول المصدر عليه.

والرأي عندي جواز تقدم معمول المصدر عليه، فبه نطق القرآن الكريم، وهو أولى بالاتباع، ولما في التأويلات التي ذهب إليها القائلون بالمنع من تكلف واضح لا حاجة لنا به. كما أن القائلين بالمنع وقعوا في تناقض ظاهر حينما نصوا على منعه في

---

(١) انظر: البحر المحيط: ١ / ٤٥٨.
(٢) البحر المحيط: ١ / ٤٥٨.

بعض الشواهد القرآنية، ثم نراهم ينصون على جوازه في شواهد قرآنية أخرى؛ لذلك لا أرى بأسا في جواز تقدم معمول المصدر عليه.

وقد ورد تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالمصدر عليه في شعر ابن زيدون، محققا الأغراض الآتية:

- **التعبير عن الحالة الانفعالية للشاعر**: كما في قوله (من الكامل) [1]:

قد قُلْتُ إذ قيل السَّرِيرُ يُقلُّه هل للسَّرير بقَدْرِه اسْتِقلالُ

البيت في رثاء الشاعر لصديقه أبي بكر بن ذكوان، حيث تسيطر عليه حالة من الدهشة والاستغراب، دفعاه إلى تقديم الجار والمجرور (بقدره) على المصدر (استقلال)؛ لتوحي بانفعال الشاعر لما أصابه من فزع حين علم برحيل صديقه، كما يُجلِّل هذا الموقفَ نبرةُ التعجب التي تبدو واضحة نتيجةَ تصدر الجملة بأداة الاستفهام، فكيف استطاع النعش حمل فضائل الفقيد وأمجاده. ولو قال: هل للسرير استقلال بقدره، لجاء التركيب هادئا لا نشعر معه بانفعال الشاعر.

- **الاختصاص**: وذلك في قوله (من الخفيف) [2]:

ملكٌ ذادَ عن حِمَى الدِّين منهُ من إليه في نَصْرِه التَّفْويضُ

قدم الشاعر الجار والمجرور (إليه) على المصدر (التفويض) ليخص ضمير الغائب بالحدث دون غيره، فالله سبحانه وتعالى قد خص المعتضد بنصرة دينه والدفاع عن حماه.

- **الاهتمام**: وذلك في قوله (من المتقارب) [3]:

ونَفْسِي لنفسيْكُما البرَّتيْـ ـنِ من كُلِّ ما يُتوقَّى الفِدَا

---

(١) الديوان: ٥٣٢.

(٢) الديوان: ٢٤١.

(٣) الديوان: ٢١٨.

قدم الشاعر الجار والمجرور (لنفسيكما) المتعلقين بالمصدر (الفدا)؛ لأن شبه الجملة تتصل بما له أولوية وأهمية في وجدان الشاعر، وهما: المعتضد والمعتمد، كما أتاح هذا التقديم للشاعر أن يقرن نفسه بالأميرين فيناله من الشرف وعلو المنزلة ما لهما. أما لو قال: ونفسي الفدا لنفسيكما، فإنه بذلك يكون قد أخر ما له أهمية عنده، ويكون قد فصل بينه وبين الأميرين، فيفقد الرفعة وعلو المنزلة اللتين اكتسبهما من مجاورته لهما.

- **بيان الحال**: وذلك في قوله (من الكامل)[1]:

فتجلَّ في فُرُشِ الكَرامةِ ناعمًا واعقدْ بمرْتبةِ السُّرورِ حُبَاكَا[2]

وأَطِلْ إلى شَدْو القيانِ إصاخةً وتَلقَّ مُتْرَعَةَ الكئوسِ دِرَاكَا

البيتان من قصيدة يهنئ فيها الشاعر المعتضد بمناسبة خطبته، وقد قدم الجار والمجرور(إلى شدو القيان) المتعلقين بالمصدر (إصاخة) عليه؛ تصويرًا لحالة الفرح المسيطرة على الأمير بعد خطبته، فيتقلب في فرش النعيم، ويستمع إلى سجع القيان ومعاطاة الكئوس.

- **التأكيد على مصدر الحدث:**

كان تقديم الجار والمجرور على المصدر المتعلقين به وسيلة من وسائل الشاعر للتأكيد على مصدر الحدث، وذلك في قوله (من الخفيف) [3]:

لُمَعٌ طَلَّةٌ من العيشِ ما إنْ للهَوَى عن محلِّها تَقْويضُ [4]

---

(١) الديوان: ٤٤٢.

(٢) مترعة الكئوس: الكئوس الممتلئة، والدِّراك: اللحاق والمتابعة. لسان العرب: ٢ / ٢٩ (ت ر ع)، ٤/ ٣٣٤ (د ر ك).

(٣) الديوان: ٢٤١.

(٤) لمع: جمع لمعة، ولمع الشيء: برق وأضاء. والتقويض: الهدم، وروَّض السيلُ الأرضَ: جعلها روضة. لسان العرب: ١٢ / ٣٢٨(ل م ع)، ١١/ ٣٤٧ (ق وض)، ٥/ ٣٦٩ (ر وض).

سـوَّغتْنِي نَعيمَهـا نَفحـاتٍ للمُنـى مـن سَـحابِها تَـرْويضُ

قدم الشاعر الجار والمجرور (من سحابها) على المصدر (ترويض)، فهو يحيا حياة نديَّة في ظلال المعتضد، وفي سياق التعبير عن كرمه، يتوجه إلى السحاب بوصفه رمزًا من رموز الكرم والعطاء لدى الشعراء، وهو ليس السحاب بمعناه المعروف، إنما هو سحاب يد الأمير الذي يهطل على الشاعر بالكرم والعطايا فتزدهر أمنياته وتتحقق آماله.

وقوله (من الكامل) [1]:

لما وردْتُ بوِرْدِ حضْرتكَ المُنَى فَهِقتْ لديَّ جِمامَها الأعْدادُ[2]

فاسْتَقْبلتْني الشمسُ تَبْسُطُ راحةً للبحرِ من نَفَحاتِها اسْتِمْدادُ

يشيد الشاعر بكرم الأمير، ويقول: إنه لَمَّا ورد عليه، غمره بجوده وكرمه، وبسط له يده السخية التي يستمد البحر منها عطاياه، وقد قدم الجار والمجرور (من نفحاتها) على المصدر المتعلقين به (استمداد)؛ وذلك للتأكيد على كرم الأمير معه، وفيض عطاياه عليه، وكأن البحر يستمد عطاياه من الأمير، وليبين لنا أن يد الأمير المبسوطة له بالعطايا هي مصدر نعمه وآماله التي تحققت، أما لو قال: للبحر استمداد من نفحاتها. فإنه بذلك يكون قد انصرف إلى التأكيد على الحدث دون التأكيد على مصدر هذا الحدث.

- **تجسيد الصورة**: كما في قوله (من الطويل) [3]:

عَدَا سَمْعُه عَنِّي وأَصْغَى إلي عِدًا لهم في أَدِيمِي كلَّما اسْتَمْكَنوا عَطُّ

قدم الشاعر شبه الجملة (في أديمي) على المصدر (عط) وقد جسد تقديم شبه الجملة صورة هؤلاء الأعداء الذين يخوضون في سمعة الشاعر وتشويهها

(١) الديوان: ٤٦٥.

(٢) فهق: امتلأ، والجمام: الماء الكثير، لسان العرب: ١٠ / ٣٤٢ (ف هـ ق)، ٢ / ٣٦٥ (ج م م).

(٣) الديوان: ٢٩١.

لدى الأمير لإحداث الوقيعة بينهما، وكأنهم يمزقون جلده لا سمعته، وما يحدثه ذلك من آلام جسمية ونفسية لديه، وتجسيد الصورة بهذا الشكل يجعل السامع يشعر بمدى الجرم الذي ارتكبه هؤلاء الأعداء، وبشاعة ما اقترفوه في حق ابن زيدون.

- **التسلِّي**: كما في قوله (من الطويل) [1]:

عَـزاءً فَـدتْكَ الـنَّفْسُ عَـزْمَ مُـسَلِّمٍ ... لموقـعِ أَمْـرٍ لم يـزلْ مُتوقَّعَـا

متـى ظنَّـتِ الأيَّـامُ أنَّـك جَـازِعٌ ... أو اسْتَشْعرتْ في فلِّ صَبْرِكَ مَطْمعَا

البيتان من قصيدة في رثاء الشاعر لأم المعتضد، وقد قدم الجار والمجرور (في فل صبرك) على المصدر (مطمعًا)، وفي هذا التقديم تسلية للأمير عن وفاة أمه، فهو من القوة بحيث لا يمكن أن يجزع لهذا الحدث، أو أن يفقد صبره الجميل.

*** تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالوصف عليه:**

يشمل تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالوصف عليه ما يأتي:

أ. تقديم الجار والمجرور المتعلقين باسم الفاعل عليه:

الأصل أن يتقدم اسم الفاعل ويتأخر عنه الجار والمجرور المتعلقان به؛ لأن اسم الفاعل عامل، والجار والمجرور معمول، والأصل أن يتقدم العامل ويتأخر عنه معموله.

وإذا كان النحاة قد أجازوا تقدم معمول الفعل عليه، فإن منهم من منع تقدم معمول اسم الفاعل عليه، بحجة أن الفعل أصل في العمل، واسم الفاعل فرع عليه، والفروع عندهم تنحط درجة عن الأصول، وأن المشبه بالشيء يكون أضعف منه في ذلك الشيء [2].

---

(١) الديوان: ٥٥٦.

(٢) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٥٩، ٦٠.

غير أن أكثر النحاة على جواز تقدم معمول اسم الفاعل عليه؛ لأن اسم الفاعل يجرى مجرى الفعل في جميع أحواله. [1]

ومذهب القائلين بجواز التقدم هو الأولى بالقبول لمشابهة اسم الفاعل للفعل، كما أن شبه الجملة تتميز بالتوسع في الاستعمال ما لا يتوسع في غيرها، يضاف إلى ذلك أنه ورد في القرآن الكريم ما يؤيد هذا المذهب، كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ القَالِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3]، وإذا كان قد ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم، فالأولى الأخذ به.

وقد ورد تقديم الجار والمجرور المتعلقين باسم الفاعل عليه في شعر ابن زيدون، وكانت أغراض هذا النوع من التقديم والتأخير على النحو الآتي:

- **الاهتمام**: حيث يتقدم ما له أولوية وأهمية في وجدان الشاعر، كما في قوله (من الكامل) [4]:

ملكٌ أطاعَ اللهَ منهُ مُوفَّقٌ ... ما زال أوَّاباً إليه مُنيبًا

يأتي رِضَاهُ مُعاديًا ومُواليًا ... ويكونُ فيه مُعاقِبًا ومُثيبًا

إن الأمير أبا الحزم لا يعادي أو يصادق أحدًا إلا في سبيل الله، كما أنه لا يعاقب أو يثيب إلا في سبيل الله. وقد تقدم الجار والمجرور في البيت الثاني(فيه) على اسم الفاعل (معاقبا ومثيبا)، لأن المجرور ضمير يعود على الله- عز وجل- وهو الأولى بالتقديم؛ وذلك لما له من الأهمية والتعظيم.

وقوله (من الطويل) [5]:

---

(١) انظر: المقتضب: ٤ / ١٥٦، شرح المفصل: ٦ / ٦٨، ٦٩، الكافية في النحو: ٢ / ٢٠٣.
(٢) سورة الشعراء: ١٦٨.
(٣)سورة القصص: ٢٠
(٤) الديوان: ٣٢٧.
(٥) الديوان: ٤٩٥.

ولما قَضيْنا ما عنَانَا قَضاؤُه وكلٌّ بما يُرضيكَ داعٍ فَمُلْحِفُ[1]

قَرنَّا بحمْدِ الله حَمْدَك إنَّه لأوْكدُ ما يُحْظَى لديه ويُزْلِفُ

قدم الشاعر الجار والمجرور (بما يرضيك) في البيت الأول على اسم الفاعل (داع)، لاتصاله بضمير يعود على المعتضد الذي يمثل أهمية وأولوية في وجدان الشاعر.

- **التقرير والتأكيد**: كان تقديم الجار والمجرور على اسم الفاعل وسيلة من وسائل الشاعر لتقرير الحدث والتأكيد عليه. كما في قوله (من البسيط)[2]:

دُومِي على العهدِ ما دُمْنا مُحافظةً فَالحرُّ مَنْ دانَ إنْصافًا كما دِينا

البيت من قصيدة بعث بها الشاعر إلى ولادة بعد فراره من قرطبة، ويطلب منها أن تحفظ عهدهما معًا، ما دام هو محافظًا على هذا العهد، فالكريم من يَدين ويُدان بالإنصاف، وفي سبيل تأكيد الشاعر على ولادة حفظ العهد، نراه يقدم الجار والمجرور (على العهد) على اسم الفاعل المتعلقين به (محافظة)، وقد أتاح هذا التقديم للجار والمجرور أن يقترن بفعل الأمر الدال على الاستمرار والدوام، مما جعل القارئ يشعر بأن الشاعر يخشى من نقض ولادة تلك العهود، وذلك لبعده عنها، فيلجأ إلى تأكيد الكلام عن طريق التقديم والتأخير.

ومن ذلك قوله (من الطويل)[3]:

سَدِكْتَ ببيتِ الله حُبَّ جِوارِه لك اللهُ بالأجر المضاعفِ كَافلُ[4]

أوحى تقديم الجار والمجرور (لك) على اسم الفاعل (كافل) بضمان إثابة الله - عز وجل - للأمير جزاء لزومه بيت الله الحرام حبًّا لجواره.

---

(١) الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة، والحظْوة: المكانة والمنزلة، وأزْلف الشيء: مَرَّ به. لسان العرب: ١٢ / ٢٥٠ (ل ح ف)، ٣ / ٢٣٢ (خ ط ا)، ٦ / ٦٩ (ز ل ف).

(٢) الديوان: ١٤٧.

(٣) الديوان: ٣٩٦.

(٤) سدك بالمكان: لزمه. لسان العرب: ٦ / ٢١٨ (س د ك).

- **تجسيد الصورة**: كان تقديم الجار والمجرور على اسم الفاعل المتعلقين به، وسيلة من وسائل الشاعر في إظهار قوته وتماسكه واعتداده بنفسه، بالرغم مما مر به من صعاب، من ذلك قوله (من الكامل)[1]:

وأحَمَّ داريٍّ تضاعفَ عزُّه ... لَمَّا أُهينَ بمِسْحَقٍ ومَدَاكِ[2]

والدَّجْنُ للشمسِ المنيرةِ حاجبٌ ... والجفنُ مَثْوى الصَّارِمِ الفتَّاكِ

في محاولة من الشاعر لإظهار قوته واعتداده بنفسه، وأن سجنه وتشريده لم يَفُتّ في عضده، نراه يقدم شبه الجملة (للشمس المنيرة) على اسم الفاعل (حاجب)؛ حرصا منه على تجسيد هذه الصورة التي يبرز معها معنى القوة والاعتداد بالنفس واضحين، وذلك من خلال اقتران صورة الشمس المضيئة التي يحجب الغيم ضوءها، بصورته في السجن. فإذا كانت الأيام قد أساءت إليه، فإن عزائم الرجال تظهر وقت الشدائد، شأنهم في ذلك شأن المسك يفوح أريجه حينما يدقه العطار، وشأن الشمس يحجب ضوءها السحاب، ثم سرعان ما يزول لتبسط نورها على سائر الكون. أما لو قال: والدجن حاجب للشمس المنيرة. فإن شبه الجملة ستكون قليلة الفاعلية في تجسيد الصورة، وذلك لتأخيرها، ولاختفت نبرة القوة والتماسك والاعتزاز بالنفس، التي أحدثتها عملية التقديم.

- **إبراز المعنى**: كما في قوله (من الطويل)[3]:

أإخوانَنا للوَاردين مصادرُ[4]

ولا أولٌ إلا سيتْلوه آخِرُ

---

(١) الديوان: ٣٥٠.

(٢) الأحمُّ: الأسود من كل شيء، وداريٌّ منسوب إلى دارين، وهي فُرْضة بالبحرين ينسب إليها المسك، والمداك: حجر يسحق عليه الطيب، والدَّجن: الغيم. لسان العرب: ٣/ ٣٤٢ (ح م م)، ٤/ ٣٤٠، ٤٤٣، ٢٩٥ (د ر ن)، (د وك)، (د ج ن).

(٣) الديوان: ١٣٦.

(٤) إعتاب: إرضاء. لسان العرب: ٩/ ٢٩ (ع ت ب).

وإنِّي لإعْتـــــابِ الزمـــــانِ لنـــــاظرُ

الأبيات أنشدها الشاعر وهو نـاءٍ عـن أهلـه ووطنـه. وتقـديم الجـار والمجـرور (لإعتاب الزمان) على اسم الفاعل (ناظر) جعلنـا نـشعر بمعانـاة الـشاعر، وطـول انتظاره لكي يصفح عنه الزمان، ولكن دون جدوى، فشأن المنتظر دائما أن يمر عليه الوقت بطيئا. أما لو التزم الترتيب على الأصل فقال: وإني لنـاظر لإعتـاب الزمـان. لافتقدنا الإحساس بطول الانتظار والمعاناة التي يعانيها الشاعر نتيجة تقـديم الجـار والمجرور.

- **الحثُّ واستنهاض الهمة**: وذلك في قوله (من الكامل) [1]:

عُـودي لمـا أَصْـفَيْتِنِيهِ مـن الهَـوَى بَـدْءًا فلـستُ لمـا كَرِهـتِ بعائـدِ

في سبيل عودة ولادة إلى سابق عهدها مع الـشاعر، نـراه يقـدم الجـار والمجـرور المتعلقين باسم الفاعل (لما كرهت) على اسم الفاعـل (عائـد)، وهـو بهـذا التقـديم جعل النفي مسلطا على شبه الجملة، كأنما يـستنهض همتهـا ويحثهـا عـلى العـودة إلى سابق عهدها معه، فلن يرتكب ما تكرهه منه مرة أخرى. أما لو قال فلست بعائد لما كرهت، لسلَّط النفي على اسم الفاعل، وتكون شـبه الجملـة بـذلك قليلـة الفاعليـة لبعدها عن فعل النفي.

- **التركيز على صفة الفضيلة**: وذلك في قوله (من الكامل) [2]:

اللهُ قـــد أرْضـــاهُ منـــك تَحـــرُّجٌ ثَقْفٌ وعقْدٌ في التُّقَـى مـسْتحكِمُ[3]

يمدح الشاعر المعتمد، ويقـول: إن الله سـبحانه وتعـالى قـد صـانه عـن مقارفـة الذنوب، والتزم بالتقوى والصلاح. وقد قدم الجار والمجرور (في التقى) عـلى اسـم

---

(١) الديوان: ١٦٤.

(٢) الديوان: ٣١٨.

(٣) الثَّقْفُ: الحاذِق الفهم. لسان العرب: ٢/ ١١١ (ث ق ف).

الفاعل (مستحكم)؛ للتركيز على صفة التقوى التي يتمتع بها الأمير، وهي فضيلة من الفضائل التي تدل على طاعته لله وتمسكه بالصلاح.

- **المجاوزة:** وذلك في قوله (من الطويل)[1]:

فِدَاؤكُم من إن تُعِدْه ظُنونُهُ ... لَحاقُكمْ في المجدِ فالدَّهرُ ماطِلُ

مناكيدُ فِعْلُ الخيرِ منهم تَكلُّفٌ ... إذ الشَّرُّ طَبْعٌ ما لهم عنهُ نَاقِلُ

يحط الشاعر من شأن أولئك الذين ينافسون بني جهور في المجد والشرف، فليس بإمكانهم لحاقهم فهم مشئومون إذا فعلوا خيرا فعلوه عن جهد ومشقة؛ لأن الشر طبيعة متأصلة فيهم لا يستطيعون تركه[2]، وقد أوحى تقدم الجار والمجرور (عنه) على اسم الفاعل (ناقل) بمعنى المجاوزة، أي أن هؤلاء المنافسين المشئومين لا يستطيعون مجاوزة الشر أو الانتقال عنه.

ب. تقديم الجار والمجرور المتعلقين باسم المفعول عليه:

ما ينطبق على اسم الفاعل ينطبق على اسم المفعول؛ لأنه مثله في جريانه على الفعل المأخوذ منه في حركاته وسكناته وعدد حروفه كاسم الفاعل، كما أنه يتفق مع اسم الفاعل في شروط عملهما[3]، وإذا كان النحاة قد أجازوا تقدم متعلق اسم الفاعل عليه، فإنه يجوز قياسًا على ذلك تقدم متعلق اسم المفعول عليه.

وقد قدم ابن زيدون الجار والمجرور المتعلقين باسم المفعول عليه، لتحقيق الأغراض الآتية:

- **بيان السبب:** حيث قدم الشاعر الجار والمجرور المتعلقين باسم المفعول، للتركيز على سبب الحدث، وذلك في قوله (من الطويل)[4]:

---

(١) الديوان: ٣٩٣.

(٢) انظر: الديوان: ٣٩٣ هامش (٦).

(٣) انظر: شرح المفصل: ٦ / ٨٠، شرح ابن عقيل: ٢ / ٩٨.

(٤) الديوان: ٤٩٣.

تَحَمَّلْتَ عِبءَ الدَّهرِ عنهُم وكلُّهـمْ بـنُعماكَ مَوْصـولُ التـنعُّمِ مُـتْرَفُ

يشير الشاعر إلى أمراء الأقاليم الذين حاولوا اغتيال الأمير، ولكنه كشف مؤامرتهم وقضى عليهم. وهو يتعجب لحال هؤلاء، فقد أحسن إليهم الأمير، وتحمل عنهم أثقال الزمان، فعاشوا في ترف ونعيم، ولكنهم جاحدون. وقد قدم الجار والمجرور (بنعماك) على اسم المفعول المتعلقين به؛ لبيان أن إنعام الأمير عليهم سبب ما هم فيه من نعمة وترف.

- **الاستمرار**: أوحى تقديم الجار والمجرور على اسم المفعول باستمرارية الحدث، كما في قوله(من البسيط)[1]:

يـا ناسـيًا لي عـلى عِرْفانِـه تَلَفِـى ذِكْـرُك منِّـي بالأَنفـاسِ مَوْصـولُ

أوحى تقديم الجار والمجرور (بالأنفاس) على اسم المفعول المتعلقين به (موصول) باستمرار ذكر الشاعر لولادة، فإذا كانت هي قد نسيته، فإنه مازال يتذكرها، فذكرها عنده مرتبط بأنفاسه، لن ينساها إلا إذا خرجت روحه من جسده.

- **التهويل**: وذلك في قوله (من البسيط) [2]:

يـا ناسـيًا لي عـلى عِرْفانـه تَلَفِـى ذِكْـرُك منِّـي بالأنفـاسِ مَوْصـولُ

وقاطعًا صِلَتي مـن غـير مـا سببٍ تـالله إنَّـك عـنْ روحِـي لمـسْئولُ

يهوِّل الشاعر من شأن الحدث حينما قدم الجار والمجرور (عن روحي) على اسم المفعول (مسئول)، فقد أسلم روحه لولادة لتفعل ما تشاء، وليس هناك أغلى من الروح، فهو يقاسي هجرها له، وإعراضها عنه، وقطْع صلتها به من غير سبب يعرفه. وإذا كان هو المحب المغرم بمحبوبته، ويجد هذا الجفاء والإعراض، فإنه –

(١) الديوان: ١٨٤.
(٢) الديوان: ١٨٤.

لاشك – سيعاني اليأس والإحباط؛ لذا نراه يسلم روحه لمحبوبته لتفعل بها ما تشاء، ويؤكد ذلك بمؤكدات كثيرة: القسم وإنَّ واللام. أما لو قال: إنك لمسئول عن روحي. لا فتقدنا نبرة التهويل التي صاحبت تقديم شبه الجملة، التي ستكون حينئذ قليلة الأهمية لمجيئها بعد تتمة أركان الجملة.

– **الاختصاص**: حيث تقدم الجار والمجرور على اسم المفعول؛ لاختصاص المجرور وحده بالحدث دون غيره، وذلك في قوله (من البسيط) [1]:

ما شِئْتَ فاصْنعْهُ كلُّ مِنكَ مُحتمَلٌ والـذَّنبُ مُغتفـرٌ والعُـذرُ مَقْبـولُ

قدم الشاعر الجار والمجرور (منك) على اسم المفعول المتعلقين به (محتمل)؛ ليخص ولادة وحدها بالحدث دون غيرها، فهي الوحيدة التي سيقبل منها أي تصرف يحتمل أن تقوم به، وهي الوحيدة التي سيغفر لها كل الذنوب، ويقبل منها سائر الأعذار.

ج. تقديم الجار والمجرور المتعلقين بصيغة المبالغة عليها:

أشار الفراء إلى عدم جواز تقدم معمول صيغ المبالغة عليها، لضعفها عن اسم الفاعل، فهي فرع في العمل عن فرع؛ لأنها فرع عن اسم الفاعل، واسم الفاعل فرع عن الفعل المضارع؛ وذلك هو سبب ضعفها الذي يمنعها من العمل متأخرة [2].

غير أن أغلب النحاة على جواز تقدم معمولها عليها قياسا لها على اسم الفاعل، فأشار سيبويه إلى أنه يجوز فيها ما يجوز في اسم الفاعل من التقديم والتأخير والإضمار والإظهار، واستدل على ذلك بما سمعه عن العرب: أما العسلَ فأنا شرَّاب[3]. ومن ذلك أيضا قول الشاعر [4]:

---

(١) الديوان: ١٨٤.

(٢) انظر: الكافية في النحو: ٢ / ٢٠٣.

(٣) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ١١٠، شرح المفصل: ٦ / ٧٠، شرح ابن عقيل: ٢ / ٩٠.

(٤) البيت من الطويل.نسبه سيبويه إلى أبي ذؤيب الهذلي، انظر: كتاب سيبويه: ١ / ١١١، وبغير نسبة في شرح ابن عقيل: ٢ / ٩١، ونسبه ابن منظور والعيني إلى الراعي، وهو في ديوانه: ٢٤، لسان العرب: ١٥ / ١٧٤ (هيج)، شرح شواهد العيني: ٢ / ٢٩٧.

قَـلَى دينَـه واهتـاج للـشَّوقِ إنَّهـا على الشَّوقِ إخـوانَ العـزاءِ هَيـوجُ

فقدم معمول صيغة المبالغة (إخوان العزاء) على صيغة المبالغة (هيوج). ومن ذلك أيضا قول الشاعر [1]:

بكيـتُ أخـا الَّـلأواءِ يحمـدُ يومُـه كـريمٌ رؤوسَ الـدارعين ضروبُ

حيث تقدم معمول صيغة المبالغة (رؤوس الدارعين) على صيغة المبالغة (ضروب).

والرأي عندي جواز تقدم معمول صيغ المبالغة عليها قياسا لها على اسم الفاعل، كما أن المسموع عن العرب يخالف مذهب القائلين بالمنع.

وقد ورد تقديم معمول صيغة المبالغة الجار والمجرور عليها في شعر ابن زيدون، وذلك قوله (من الكامل) [2]:

سَـيحوطُ مـن خلَّفْتَـهُ مُستبْـصرٌ في حفـظِ مـا استـحْفظْتَهُ لا يَـالُوا

كفلَ الـوزيرُ أبـو الوليـدِ بجـبرِهمْ إنَّ الـــوزير لمثلِهـــا فَعَّـــالُ

البيتان في رثاء صديق الشاعر أبي بكر بن ذكوان، فيقول إن الوزير سيحوط أسرته من بعده، وسيقوم بواجب المروءة والوفاء، فهو معتاد على فعل هذا الإحسان، وقد استخدم عدة مؤكدات للتأكيد على قيام الوزير بهذا الإحسان، وهي ابتداؤه بالفعل الماضي(كفل)، وحرف التوكيد(إن)، وتقديم الجار والمجرور (لمثلها) على عامله (فَعَّال)، كما أن تأخير الوصف (فعَّال) جعله مطلقا غير مقيد بحدود، فكأن فعْل الخير والإحسان صفة متأصلة لدى الوزير، لا تقف عند حد أسرة ابن ذكوان فقط، بل هو أسلوب عام اعتاده الوزير مع سائر الناس.

---

(١) البيت من الطويل. بغير نسبة في كتاب سيبويه: ١ / ١١١، شرح المفصل: ٦ / ٧١، ارتشاف الضرب: ٢ / ٥٩٩.

(٢) الديوان: ٥٣٨.

د. تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالصفة المشبهة عليها:

منع النحاة تقدم معمول الصفة المشبهة عليها، معللين لذلك بأنها دون اسم الفاعل في المنزلة؛ لأنها مشبهة به و" المشبه بالشيء أضعف منه في ذلك الباب الذي وقع فيه الشبه " [١]. فهي فرع عن اسم الفاعل، فلما كانت فرعا عنه، انحطّت عنه، ونقص تصرفها عن تصرف اسم الفاعل، كما انحطت مرتبة اسم الفاعل عن مرتبة الفعل، والفروع تنحط دائما درجة عن الأصول؛ لذلك لم يجز تقدم معمولها عليها كما جاز في اسم الفاعل، فلا يقال: زيدٌ الوجه حسنٌ، كما يقال: زيدٌ عمرًا ضاربٌ [٢].

وإذا كان ذلك موقف النحاة في تقديم معمول الصفة المشبهة عليها، فإن شبه الجملة تتميز بالتوسع في الاستعمال، وبمرونة تتيح لها حرية الحركة، فتتقدم في مواضع لا تجوز لغيرها، ومن ثم ورد تقديمها في القرآن الكريم على الصفة المشبهة، من ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤]. وقوله تعالى ﴿ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [٥]، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٦]. لذلك لا أرى بأسا في جواز تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالصفة المشبهة عليها، ما دام قد ورد في الاستعمال القرآني الذي هو أولى بالاتباع.

وقد ورد تقديم الجار والمجرور المتعلقين بالصفة المشبهة عليها في شعر ابن زيدون، وذلك قوله (من الوافر) [٧]:

ألا هلْ جاءَ من فارقْتُ أنِّى بسَاحاتِ المَنَى رفِلُ المِراحِ

---

(١) شرح المفصل: ٦ / ٨٢.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ١ / ٢٠٥، المقتضب: ٤ / ٦٤، شرح المفصل: ٦ / ٨٢، شرح ابن عقيل: ٢ / ١١٤، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣)سورة البقرة: ١٤٣.

(٤) سورة البقرة: ١٤٨.

(٥) سورة القصص: ٢٨

(٦) سورة سبأ: ٤٧.

(٧) الديوان: ٤٣٥.

البيت من قصيدة أنشدها الشاعر وهو في كنف المعتضد بن عباد، بعد فراره من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، وهو هنا يُعرِّض بأبي الحزم بن جهور الذي أودعه السجن، وكأنه يريد أن يخبره أنه قد وجد من هو خير منه، وقد أعطى تقديم الجار والمجرور (بساحات المنى) على الصفة المشبهة (رفل) إحساسا بحالة النشوة والغبطة التي يعيشها الشاعر، فكأنه أصبح لصيق السعادة، فتحولت حياته من شقاء في عهد أبي الحزم، إلى نعيم في أرحب مكان تحت ظلال المعتضد.

وقال أيضا (من الكامل)[1]:

يا أيُّها الملكُ الذي تَدْبيرُه ... أَضْحَى لمملكَة الزَّمانِ ملاكَا[2]

هذي اللَّيالي بالأَماني سَمْحةٌ ... فمتى تقُلْ هاني تقُل لك هَاكَا

إن المُلك لا يمكن أن ينهض إلا بحسن تدبير الملك، وقد جادت عليه الأيام بما يشتهي، فإذا طلب منها شيئا لبته في الحال، وقد أوحى تقديم الجار والمجرور (بالأماني) على الصفة المشبهة (سمحة) بيسر تحقق أمنيات الأمير وآماله، وجود الأيام عليه بما يريد.

(١) الديوان: ٤٣٩.

(٢) مِلاك الأمر ومَلاكه: قِوامُه وصَلاحُه. لسان العرب: ١٣ / ١٨٤ (م ل ك).

المبحث الرابع

التقديم والتأخير في أسلوب الشرط

الأصل في ترتيب أسلوب الشرط أن يبدأ بأداة الشرط، ثم جملة الشرط، ثم جملة جواب الشرط. إلا أنه قد يتعرض في عنصر من عناصره للتقديم أو التأخير، بحيث يختلف الترتيب الأصلي للأسلوب. بشرط أن يؤمن اللبس، وألا يصاحب الترتيب الجديد تغير في الموقع النحوي للعنصر المقدم أو المؤخر.

وقد ورد التقديم والتأخير في أسلوب الشرط في شعر ابن زيدون في صورتين:

أولاً: تقديم الاسم المرفوع بعد أداة الشرط على جملة الشرط:

من المسائل الخلافية بين النحاة، فثمة خلاف وقع بين النحاة حول الاسم الذي يلي أداة الشرط، فأشاروا إلى " أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال "[1]، وذلك لشبه حروف الجزاء بالحروف التي تعمل الجزم في الأفعال، فهي مختصة بالدخول على الأفعال دون الأسماء، فلا يجوز: لم زيدٌ يأتك، على تقدير: لم يأتك زيدٌ. حيث يقبح الفصل بين الجازم ومعموله؛ لأن الجازم في الأفعال نظير الجار في الأسماء، فكما لا يُفصل بين الجار والمجرور بشيء فكذلك الجازم[2]. كما أن الشرط يفيد تعليق جملة الجواب على جملة الشرط، والأفعال يتعلق " وجود غيرها

(١) كتاب سيبويه: ٣ / ١٢، وانظر: المقتضب: ٢ / ٧٤، الأصول في النحو: ٢ / ٢٣٢، وشرح المفصل: ٩ / ٩.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ١١١، شرح المفصل: ٩ / ٩.

عـلى وجودهـا؛ والأسـماء ثابتـة موجـودة، ولا يـصح تعليـق وجـود شيء عـلى وجودها"[1]؛ لذلك فالشرط لا يكون إلا بالأفعال.

وبالرغم من إقرار النحاة بقبح تقدم الاسم على الفعل في أسلوب الـشرط، فـإن سيبويه أجاز هذا التقديم في لغـة الـشعر؛ وذلـك لأن حـروف الجـزاء تـدخل عـلى الماضي والمضارع، وأنه قـد يفارقهـا الجـزاء فتتحـول إلى أدوات للاسـتفهام، أو إلى أسماء موصولة، فلما فارقت الجزم، وتصرفت هذا التصرف لم تكـن مثـل (لم) و(لا) و(لام) الأمر؛ لأنهن لا يفارقْن الجزم [2]. وتستثنى (إنْ) من سائر حروف الجـزاء في جواز تقدم الاسم على الفعل في أسلوب الشرط إذا لم تعمل الجزم فيما بعدها؛ لأنهـا لا يفارقها الجزاء، فلا تخرج عن الشرط إلى غيره، ولقوتها في بابها حيث إنها أمُّ بـاب الجزاء، فهي تدخل في مواضع الجزاء كلها. أما بقيـة حـروف الجـزاء فلهـا مواضـع معينة، فـ (مَنْ) شرط فيمن يعقل، و(متى) شرط للزمان، وليست كذلك (إنْ) فهي تأتي شرطا في الأشياء كلها، لذلك حسن أن يليها الاسم، فيقال: إن الله أمْكنني مـن فلان فعلتُ، وإن زيدٌ أتاني أكرمته، ومنه قول الشاعر [3]:

عاوِدْ هَراةَ وإن مَعمورُها خَرِبَا

فأشبهت (إن) بذلك (ألف) الاستفهام، فإنها أم باب الاستفهام، حيث يجـوز في الاستفهام بالألف تقديم الاسم على الفعل نحو: أزيدٌ؟ ولا يجـوز: هـل زيـدٌ قـام؟ وأين زيدٌ قام؟ فإذا اجتمع الاسم والفعل في هذه الأدوات لم يكن إلا تقديم الفعل؛ لأن السؤال عن الفعل وليس الاسم، إلا ألـف الاسـتفهام؛ لأنهـا الأصـل في بـاب الاستفهام. أما إذا عملت (إن) الجزم فيما بعدها، فلا يجوز تقديم الاسم على الفعـل

---

(١) شرح المفصل: ٩ / ٩، وانظر: شرح التصريح: ١ / ٢٧٠.

(٢) انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ١١٢ ، والأصول في النحو: ٢ / ٢٣٢.

(٣) من البسيط وهو من شواهد سيبويه، انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ١١٢، المقتضب: ٢ / ٧٤، الأصـول في النحو: ٢ / ٢٣٢.

حينئذ إلا في ضرورة الشعر، فلا يقال: إن زيدٌ يقمْ أقمْ؛ وذلك لشبهها بـ (لم) حيث لا يمكن القول: لم زيدٌ يقم، ولم زيدٌ أضربْ، إلا في ضرورة الشعر[1].

والرأي عندي جواز مجيء الاسم المرفوع بعد أداة الشرط مقدمًا بذلك على فعل الشرط، وغيرها من أدوات الشرط، فقد ورد في القرآن الكريم مع (إن)، و(إذا)، كما ورد في الشعر أيضًا مع غير (إن)، من ذلك قول الشاعر[2]:

فمتى واغلٌ يَنُبْهُم يحيُّو ... هُ وتعطفْ عليه كأسُ السَّاقِي

وقول الآخر[3]:

صَعْدةٌ نابِتةٌ في حائرٍ ... أينما الرِّيحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ

وقال الآخر[4]:

فَمنْ نحنُ نؤمِّنْه يبتْ وهو آمنٌ ... ومن لا نُجرْهُ يمسِ منَّا مُفزَّعَا

فقد ورد الاسم المرفوع بعد أداة الشرط مقدما بذلك على الفعل مع غير" إن " وعملت هذه الأدوات الجزم في أفعالها.

وقد ورد الاسم المرفوع بعد أداة الشرط في شعر ابن زيدون، متقدما بذلك على

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ١١٢، ١١٣، المقتضب: ٢ / ٧٤ / ٧٥، شرح المفصل: ١ / ٨٢، ٩ / ٩.

(٢) البيت من الخفيف لعدي بن زيد العبادي، والشاهد فيه تقديم الاسم على الفعل مع (متى) وجزم الفعل بعدها، والبيت في كتاب سيبويه: ٣/ ١١٣، المقتضب: ٢ / ٧٦، الأصول في النحو: ٢ / ٢٣٢، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٨١، الإنصاف: ٦١٧، شرح المفصل: ٩/ ١٠.

(٣) البيت من الرمل، نسبه سيبويه إلى كعب بن جعيل، ونسبه ابن السراج إلى الحسام بن ضرار الكلبي، والشاهد فيه تقديم الاسم على الفعل مع (أينما) الشرطية. والبيت في كتاب سيبويه: ٣ / ١١٣، والمقتضب: ٢ / ٧٥، الأصول في النحو: ٢ / ٢٣٣، أمالي ابن الشجري: ٢ / ٨٢، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٨ / ٦.

(٤) البيت من الطويل، نسبه سيبويه إلى هشام المري، والشاهد فيه تقديم الضمير (نحن) على الفعل مع (من) الشرطية، والبيت في كتاب سيبويه: ٣ / ١١٤، المقتضب: ٢ / ٧٥، الإنصاف: ٩ / ٦.

الفعل، وكانت أداة الشرط (إذا). وذلك في قوله (من الكامل) [1].

وإذا غـصُونُ المكرُمـات تَهـدَّلتْ كـانَ الثنـاءَ هَـديلُها المـترنِّمُ

قدم الشاعر الاسم المرفوع (غصون المكرمات) على فعل الشرط (تهدلت)، ففي سياق مدح المعتمد والحديث عن فضائله ومناقبه، لاشك أن مكارم الأمير من الأهمية بمكان بحيث تتقدم على الفعل، كما أن تقدم الاسم أحدث نوعا من التشويق لدى السامع، وذلك حين يقف المتكلم على الاسم، فإن السامع يكون في شوق لمعرفة الحدث المرتبط بهذا الاسم.

وقوله (من الطويل) [2]:

إذا الموتُ أضْحَى قَصرَ كـلِّ مُعمَّـرٍ فـإنَّ سـواءً طـالَ أو قَـصُرَ العُمْـرُ

قدم الشاعر الاسم المرفوع (الموت) على فعل الشرط (أضحى) للتأكيد على أن الموت حقيقة واقعة لا مفر منها، فهو نهاية كل حي سواء أطال به العمر أم قصر.

ثانيًا: تقديم جملة جواب الشرط على جملة الشرط:

رفض البصريون تقدم جملة جواب الشرط إذا كانت الأداة جازمة، قال سيبويه "وتقول: آتى من يأتيني، وأقول ما تقول، وأعطيك أيها تشاء، هذا وجه الكلام وأحسنه، وذلك أنه قبيح أن تؤخر حرف الجزاء إذا جزم ما بعده، فلما قبح ذلك حملوه على الذي، ولو جزموه ها هنا لحسن أن تقول: آتيك إن تأتني. فإذا قلت: آتى من أتاني، فأنت بالخيار. إن شئت كانت أتاني صلة، وإن شئت كانت بمنزلتها في إنْ"[3].

---

(١) الديوان: ٣٢١.

(٢) الديوان: ٥٤١.

(٣) كتاب سيبويه: ٣ / ٧٠، وانظر: المقتضب: ٢ / ٦٨، الأصول في النحو: ٢ / ٢٣٦، الخصائص: ١ / ٨٤، ٢ / ٣٨٩، شرح المفصل: ٩ / ٧، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٣٨، الكافية في النحو: ٢ / ٢٥٦، ٢٥٧، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٣، همع الهوامع: ٢ / ٦١.

إلا أن سيبويه والمبرد اتفقا على جواز تقدم جملة الجواب إذا كان فعل جملة الشرط ماضيا، قال سيبويه " ألا ترى أنك تقول: آتيك إن أتيتني، ولا تقول: آتيك إن تأتني إلا في شعر "[1]، كما نص المبرد على أنه إذا " كان الفعل ماضيا بعد حرف الجزاء جاز أن يتقدم الجواب؛ لأن (إنْ) لا تعمل في لفظه شيئا، وإنما هو في موضع الجزاء، فكذلك جوابه يسد مسد جواب الجزاء "[2]، ويفهم من كلام المبرد أنه أجاز تقدم جملة الجواب إذا كان فعل الشرط ماضيا؛ لأن أداة الشرط لا تعمل في الماضي، وإنما هي مختصة بجزم المضارع، فالشرط " لا يقع إلا على فعل لم يقع، فتكون مواضعها مجزومة وإن لم يتبين فيها الإعراب "[3]، فالماضي في أسلوب الشرط موضوع موضع المضارع، ولما كانت أداة الشرط لا تعمل في الماضي الواقع موقع فعل الشرط، فكذلك الجواب الموجود في السياق ليس بجواب الشرط الحقيقي، وإنما هو موضوع موضع جواب الشرط الأصلي؛ وذلك لأن فعل الشرط الموجود في السياق ليس فعل الشرط الحقيقي؛ لأن فعل الشرط يشترط فيه أن يكون مضارعا.

وقد نقل السيوطي عن بعضهم أنه " يجوز تقديم الجواب إن كان مضارعا، ويمتنع إن كان ماضيا وعليه المازني؛ لأن المضارع هو الأصل، فلم يكثر فيه التجوز بخلاف الماضي فإنه يجوز فيه بأن عُبِّر بصيغته عن المستقبل، فإن قُدِّم وحقه التأخير كثر التجوز "[4]، وقيل يجوز تقديم الجواب إن كان كلٌّ من الشرط والجواب ماضيين بخلاف ما إذا كان الشرط وحده ماضيا " لأنه لَمَّا لم يظهر للأداة فيه عمل إذا تأخر، جاز تقديمه لأنه مقدما كحاله مؤخرا، فكان كأنها لم يعمل فيه، بخلاف المضارع فإنه متأثر بها، فصار تقديمه على الجازم كتقديم المجرور على الجار "[5].

أما ابن جني فقد وقف موقفا متشددا في مسألة تقديم جواب الشرط عليه،

---

(١) كتاب سيبويه: ٣ / ٦٦.
(٢) المقتضب: ٢ / ٦٨.
(٣) المقتضب: ٢ / ٥٠.
(٤) همع الهوامع: ٢ / ٦١.
(٥) السابق: ٢ / ٦١، ٦٢.

حيث يمنعه منعا مطلقا لدرجة أنه يستعيذ بالله أن يقدم جواب الشرط عليه، ففي قولهم، (أنت ظالم إن فعلت) يقول " فهذا ربما أوهم أن (أنت ظالم) جواب مقدم، ومعاذ الله أن يُقدَّم جواب الشرط عليه، وإنما قوله (أنت ظالم) دال على الجواب وساد مسده، فأما أن يكون هو الجواب فلا "[1]، ويخالف ابن جني مذهب القائلين بتقديم الجواب إذا كان فعل الشرط ماضيا، فأشار إلى أن قولهم" لا أقوم إن قمت، فإن قولك: أقوم، ليس جوابا للشرط، ولكنه دال على الجواب "[2]. وكذلك إذا كان فعل الشرط مضارعا فلا يجوز عنده أيضا تقديم الجواب على الشرط؛ لأنه " لا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطا كان أو قسما أو غيرهما، ألا تراك لا تقول: أقم إن تقم "[3].

واحتج البصريون في منعهم تقدم الجواب على الشرط بما يلي:

– أن لأدوات الشرط صدر الكلام، فهي تشبه أسماء الاستفهام في أن العامل فيها يقع بعدها، فكما لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله، فكذلك الشرط، كقولك: أيهم تكرمْ أكرم، كما تقول في الاستفهام: أيهم أكرمت؟[4].

– أن الشرط قائم على علة ومعلول، وذلك " أن كل شيء يكون سببا لشيء أو علة له، فينبغي أن تقدم فيه العلة على المعلول، فإذا قلت: إن تأتني أعطك درهما، فالإتيان سبب للعطية، به يستوجبها، فينبغي أن يتقدم، وكذلك إذا قلت إن تعص الله تدخل النار، فالعصيان سبب لدخول النار فينبغي أن يتقدم "[5].

– أن " جواب الشرط مجزوم بنفس الشرط، ومحال تقدم المجزوم على جازمه، بل

---

(١) الخصائص: ١ / ٢٨٤.
(٢) السابق: ٢ / ٣٨٩، ٣٩٠.
(٣) السابق: ٢ / ٣٨٩.
(٤) انظر: كتاب سيبويه: ٣ / ٧١ / ٧٢، المقتضب: ٢ / ٦٨، أمالي ابن الشجري: ٢ / ١٨، الإنصاف: ٦٢٧، شرح المفصل: ٩ / ٧، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٣، همع الهوامع: ٢ / ٦١، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٤.
(٥) الأصول في النحو: ٢ / ١٨٧، وانظر: همع الهوامع: ٢ / ٦١.

إذا كان الجار – وهو أقوى من الجازم؛ لأن عوامل الأسماء أقوى من عوامل الأفعال – لا يجوز تقديم ما انجر به عليه، كان ألا يجوز تقديم المجزوم على جازمه أحرى وأجدر " [1].

– أن المتقدم في جملة الشرط لا يصلح أن يكون جوابا، إما لكونه جملة اسمية غير مقترنة بالفاء، نحو: أنت ظالمٌ إن فعلْتَ، وإما لكونه جملة فعلية منفية بلم مقرونة بالفاء، نحو: فلم أرْقِهِ إن ينجُ منها؛ لأن الجواب المنفي بلم لا تدخل عليه الفاء، وإما لكونه مضارعا مرفوعا نحو: أقوم إن قمت، ورفع المضارع ينافي جعله جوابا[2].

ولهذه الأسباب فإن البصريين متفقون على أن جواب الشرط لا يتقدم على الشرط، فإذا تقدم ما هو شبيه بالجواب، فهو دليل عليه وساد مسده وليس إياه، كقولك: أجيئك إن جئتني، فالجواب هنا محذوف دل عليه الفعل المقدم [3]. وقد علل ابن السراج تقديم الفعل هنا على جهتين" إما أن يضطر إليه شاعر فيقدم الجزاء للضرورة وحقه التأخير، وإما تذكر الجزاء بغير شرط ولا نية فيه، فتقول أجيئك، فيعدك بذلك على كل حال، ثم يبدو له ألا يجيئك بسبب، فتقول: إن جئتني، ويستغنى عن الجواب بما قدم " [4].

أما الكوفيون فذهبوا إلى جواز تقدم جملة الجواب على جملة الشرط، إذ يرون أن الأصل في الجزاء أن يكون مقدما على الشرط، كقولك " أضربُ إن تضربْ، وكان ينبغي أن يكون مرفوعا، إلا أنه لما أُخِّر انجزم بالجوار " [5]. واستدل الكوفيون على

---

(١) الخصائص: ٢ / ٣٩٠.

(٢) انظر: شرح المفصل: ٩ / ٧، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٣.

(٣) انظر: الأصول في النحو: ٢ / ١٨٧، الخصائص: ١ / ٢٨٤، شرح المفصل: ٩ / ٧، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ٣٦٦، تسهيل الفوائد: ٢٣٨، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٣، الكافية في النحو: ٢ / ٢٥٧، حاشية الخضري: ٢ / ١٢٢.

(٤) الأصول في النحو: ٢ / ١٨٧.

(٥) الإنصاف: ٦٢٣، وانظر: الكافية في النحو: ٢ / ٢٥٧، وشرح التصريح: ٢ / ٢٥٣.

صحة مذهبهم بما ورد في الشعر، كقول الشاعر [1]:

يـا أقـرعُ بـن حـابس يـا أقْـرعُ إنَّـك إن يـصرعْ أخـوك تُـصرعُ

حيث رفع الفعل (تصرعُ) ولولا أنه يقدر مقدما لما جاز أن يكون مرفوعا، ولوجب أن يكون مجزوما، وقول الشاعر[2]:

وإن أتـاهُ خليـلٌ يـومَ مـسألةٍ يقـولُ لا غائـبٌ مـالي ولا حـرِمُ

والتقدير: يقولُ إن أتاه خليل، بدليل رفع الفعل، وقول آخر [3]:

فلم أرْقِـه إن يَـنْجُ منهـا وإن يمـتْ فطعنـةٌ لا غُـسٍّ ولا بمُغمَّـرِ

والتقدير: إن ينج فلم أرقه.

وقد ردَّ البصريون احتجاج الكوفيين بهذه الشواهد، فأشاروا إلى أن التقديم في البيت الأول كان للضرورة فلا حجة فيه، وفي البيت الثاني رفع الفعل؛ لأن فعل الشرط ماضٍ، وفي البيت الثالث أشاروا إلى أن المتقدم دليل على الجواب وليس الجواب [4].

وقد رد الكوفيون ما ذهب إليه البصريون من أن الجواب إذا كان جملة اسمية متقدمة لم يقترن بالفاء والقياس اقترانه بها، فقالوا إنها لم تقترن بالفاء لتقدمها، والفاء لا تناسب الصدر. وعن احتجاجهم بورود جواب الشرط مضارعا مرفوعا مما ينافي جعله جوابا، رد الكوفيون بأن الحرف ضعيف أن يعمل مؤخرا. وأما عن

---

(١) من الرجز والشاهد فيه رفع (يصرعُ) على نية التقديم، والبيت من شواهد سيبويه، نسبه إلى جرير بن عبد الله البجلي، وقيل لعمرو بن خثام العجلي. والبيت في الجمل المنسوب للخليل: ١٩٨، كتاب سيبويه: ٣ / ٦٧، المقتضب: ٢ / ٧٢، أمالي ابن الشجري: ١ / ١٢٥، الإنصاف: ٦٢٣، ضرائر الشعر: ١٦٠، ما يجوز للشاعر في الضرورة: ١٥٦، شرح شواهد المغني: ٨٧٩.

(٢) من البسيط. لزهير بن أبي سلمى، والشاهد فيه رفع (يقول) على نية التقديم، والبيت في ديوانه: ١٥٣، كتاب سيبويه: ٣ / ٦٦، الإنصاف: ٦٢٥، شرح المفصل: ٨ / ١٥٧، همع الهوامع: ٢ / ٦٠.

(٣) البيت من الطويل. لزهير بن مسعود، والشاهد فيه تقديم الجواب على الشرط، والبيت في الخصائص: ٢ / ٣٩٠، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦٢٦.

(٤) انظر: الإنصاف: ٦٢٨.

احتجاجهم بأن الفاء لا تدخل على الجملة المنفية بلم، فقد استشهد الكوفيون بإجازة الزمخشري دخول الفاء على جملة جواب الشرط المنفية بلم، وذلك في تعليقه على قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ﴾[1]. حيث قال "والفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم، ولكن الله قتلهم "[2].

وأعتقد أن رأي الكوفيين هو الأولى بالقبول، فعليه جاء القرآن الكريم [3]، وشعر العرب، كما أن البصريين أشاروا إلى تفسيرات وتأويلات لا داعي لها حينما نصوا على أن المذكور ليس جوابا وإنما شبيه بالجواب، ودالٌّ عليه، وسادٌّ مسده، بينما الجواب محذوف، ولم يبينوا لنا ما المقصود بقولهم: شبيه بالجواب، ودالٌّ عليه، وسادٌّ مسده، إن البصريين بهذا التأويل لم يكونوا يرمون لغرض ما سوى محاولة المحافظة على اطراد القاعدة التي تنص على أن لأدوات الشرط الصدارة، وأن أسلوب الشرط يبدأ بالأداة فجملة الشرط ثم جملة جواب الشرط، غافلين بذلك أن السياق قد يتطلب – أحيانا – أن يتقدم الجواب في مواقف لغوية معينة، دون أن تشعر معه بالحاجة إلى تقدير جواب آخر محذوف لدلالة ما قبل الأداة عليه، كما أن النفس تميل إلى هذا الاتجاه " لأنه من غير المعقول أن نقدر جوابا محذوفا ولدينا جواب مذكور، وهذا ميل يتفق مع مراد المعنى المطلوب من علاقة الشرط بالجواب " [4].

وقد قدم ابن زيدون جملة جواب الشرط على جملة الشرط، محققا بذلك الأغراض الآتية:

- **الإطلاق وعدم التقييد بجملة الشرط**: وذلك في قوله (من البسيط) [5]:

عَهْدي كعهدِكَ ما الدنيا تُغيِّرُه وإن تغيَّرَ منكَ العهدُ ألوانَا

---

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) الكشاف: ٢ / ١٤٩، وانظر: الكافية في النحو: ٢ / ٢٥٧، شرح التصريح: ٢ / ٢٥٣.

(٣) انظر: بعض الآيات التي ورد فيها جواب الشرط مقدما على فعل الشرط وذلك في المواضع التالية: البقرة: ١٧٢، ٢٢٨، ٢٨٦، وآل عمران: ١٣٩، والتوبة: ١٣.

(٤) من وظائف الصوت اللغوي: ٦٩.

(٥) الديوان: ١٧٩.

حيث قدم الشاعر جواب الشرط (عهدي كعهدك ما الدنيا تغيره)؛ لأنه لا يقيد ثباته على العهد بحال من الأحوال، فهو ثابت على عهده مع ولادة دائما ثباتا مطلقا، سواء أنقضت عهودها معه أم التزمت بها.

وقوله (من المتقارب) [1]:

فأنتَ الجَريءُ إذا الشِّبلُ هَابَ وأنتَ الدليلُ إذا النَّجْم ضَلْ

قدم الشاعر جملتي الجواب (فأنت الجريء) و(أنت الدليل) على جملتي الشرط (إذا الشبل هاب) و(إذا النجم ضل)؛ لأن الجرأة والهداية صفتان مطلقتان متأصلتان في الأمير لا يقيدان بحال. ولا تتحقق هذه الدلالة إذا أخر الجواب. لأنه حينئذ سيعلَّق على جملة الشرط.

- **الدلالة على اقتراب تحقيق الحدث**: وذلك في قوله (من الكامل) [2]:

للحبِّ في تلك القِبابِ مَرادُ لو ساعفَ الكَلِفَ المشوقَ مُرادُ

قدم الشاعر جملة جواب الشرط، وأصل التركيب: لو ساعف الكلف المشوق مُراد لكان للحب مَراد في تلك القباب، وتقديم الجواب هنا جعلنا نشعر أن الشاعر وكأنه قد ذهب إلى محبوبته في قبابها التي تقيم فيها، ثم تأتي جملة الشرط لتزيل هذا الإحساس، ويصبح الحدث شيئا لم يتحقق، فما كاد الشاعر يقترب من تحقيق هدفه، حتى ما لبث أن أحس بعدم تحققه، لأن آماله فقط لا تستطيع تحقيق هذا الهدف، فمحبوبته تقيم في قباب يحميها فرسان شجعان مجهزون بالعدة والعتاد، ولا يستطيع اختراق هذا الحشد للوصول إليها.

- **إبراز الحالة النفسية للشاعر**: وذلك في قوله (من البسيط) [3]:

نأْسَى عليكِ إذا حثَّتْ مُشعْشعةً فينا الشَّمولُ وغنَّانا مُغنِّينَا

---

(١) الديوان: ٤٢٧.

(٢) الديوان: ٤٧٧.

(٣) الديوان: ١٤٧.

قدم الشاعر جملة جواب الشرط (نأسى عليك) على جملة الشرط (إذا حثت)، والبيت من قصيدة أنشدها بعد فراره من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، ولكن قلبه ظل معلقا بولادة، وفي هذا البيت استخدم عنصر تقديم جملة الجواب كوسيلة لإبراز حالته، فهو حزين على فراق ولادة، حتى في تلك الأوقات التي من شأنها أن تُنسي الإنسان الهموم حين تدار كئوس الخمر الممزوجة بالماء، وينطلق صوت المغني بالغناء.

وقال أيضًا (من الكامل) [1]:

وُدِّعْتَ عن عُمرٍ عُمِرتَ قَصيرَهُ بمكارمٍ أعمارُهنَّ طِوالُ

من للنَّديِّ إذا تنازع أهْلُه فاسْتجْهلتْ حُلماءَه الجُهَّالُ

يرثي الشاعر صديقه أبا بكر بن ذكوان، ويقول: إذا تنازع أهل المجلس على صدارته، فمن ذا الذي يتصدره بعدك، ويردَّ الجهال إذا أساؤا إلى الحلماء، وقد قدم جملة الجواب الاستفهامية (من للندى) على جملة الشرط (إذا تنازع أهله)، وقد خرج الاستفهام هنا عن معناه الحقيقي إلى معنى النفي والاستنكار المرتبطين بحالة الحزن التي تنتاب الشاعر لفراق صديقه، وإيمانه بأنه ليس هناك من يستطيع أن يملأ فراغه، ويحتل مكانه في صدارة مجلس القوم، وإذا كانت هذه الجملة هي التي نستطيع من خلالها التعرف على حالة الشاعر، فقد عمد إلى إبرازها وتقديمها.

- **التأكيد**: كان تقديم جملة الجواب وسيلة من وسائل الشاعر للتأكيد على هذه الجملة، من ذلك قوله (من الطويل) [2]:

سَلِ المعْشَر الأعْداء إن رُمتَ صَرْفهُم عن القصْدِ إن أعْياكَ منهُ مَرامُ

تنتاب الشاعر حالة من التعجب حينما علم بنية بني عباد في مهاجمة قرطبة، وهو

(١) الديوان: ٥٣٤.
(٢) الديوان: ٣٣٥

هنا يطلب من الأمير أبي الحزم بن جهور أن يسأل هؤلاء الأعداء عن هدفهم من هذه الحرب، فقد ينصرفون عنها إذا عجزوا عن معرفة مصلحتهم منها [1]، وفي هذا السياق قدم جملة جواب الشرط(سل المعشر الأعداء) على جملة الشرط(إن أعياك منه مرام) والأصل: إن أعياك مرام من قصد الأعداء فاسألهم. والشاعر بهذا التقديم يبادر بالتأكيد على الجواب، وهو طلبه سؤال الأمير للأعداء عن قصدهم من هذه الحرب، ثم يعلق طلبه على جملة الشرط، وهي جهل الأمير معرفة سبب هذه الحرب، وهذه الجملة لا تعني الشاعر في شيء، ولكن ما يريد إبرازه والتأكيد عليه، هو سؤال الأعداء أنفسهم عن غرضهم من الحرب؛ لأنهم قد ينصرفون عنها إذا وقفوا عاجزين عن إجابة هذا السؤال.

ومن ذلك قوله (من الوافر) [2]:

لقد أنْفذتَ في الآمالِ حُكْمي ... وأجْريتَ الزَّمانَ على اقْتِراحِي

وهل أخْشى وقوعًا دون حظٍّ ... إذا ما أثَّ ريشُك في جَناحِي

البيتان من قصيدة في مدح الشاعر للمعتضد بن عباد بعد فراره من قرطبة إلى إشبيلية، فقد آواه المعتضد، وحقق له ما يشتهيه من الآمال، وقد قدم جملة الجواب الاستفهامية (هل أخشى وقوعا) على جملة الشرط (إذا ما أثَّ ريشك في جناحي) والاستفهام هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي هو النفي، فهو ينفي خوفه جفاء الأمير والبعد عنه قبل تحقيق آماله والوصول إلى ما يتمناه، ولما كان هذا هو المعنى الذي يريده الشاعر، قدمه لتأكيده والتركيز عليه.

- **إضفاء عنصر التشويق والمفاجأة على التركيب**: كما في قوله (من المتقارب) [3]:

أَرَى كلَّ بَحْرٍ أبا عامرٍ ... يُسَرُّ إذا في خَلاءٍ ركَضْ

---

(١) انظر: الديوان: ٣٣٥ هامش (٢).

(٢) الديوان: ٤٣٧.

(٣) الديوان: ٥٨٤.

البيت من قصيدة يعاتب فيها الشاعر أبا عامر بن عبدوس – منافسه في حب ولادة – وكانت قد انصرفت عن شاعرنا إلى صديقه أبي عامر، والشاعر هنا يريد ألا يظهر أمام خصمه في صورة المهزوم، كما يريد أن يُضيِّع عليه نشوة الانتصار والفوز بولادة؛ لذا نراه يحاول إشعاره بأنه قد انصرف عنها ونسيها واستبدل بها من هي خير منها، وأن أبا عامر قد أتى الساحة بعد أن خلت منه، فأشبه بذلك الفرس الذي يجري في الخلاء، فيشعر بالنشوة والارتياح لأنه لا يجد من ينافسه. وقد قدم جملة جواب الشرط (يسرُّ) على جملة الشرط (إذا في خلاء ركض)، فإذا وقف المتكلم على قوله (يسرُّ) كان المستمع في شوق إلى معرفة سبب هذا السرور، فإذا أكمل المتكلم التركيب، فوجئ المستمع بما لم يتوقعه، فقد كان يتوقع أنه يسر لأنه سبق غيره، وليس لأنه لا يجد من ينافسه.

obeikandl.com

المبحث الخامس

التقديم والتأخير في المكملات

ورد التقديم والتأخير في المكملات في شعر ابن زيدون على النحو الآتي:

أولا: تقديم الحال على صاحبها المرفوع:

ورد تقديم الحال على صاحبها في شعر ابن زيدون، وفي كل حالات التقديم كان صاحب الحال مرفوعا. والأصل في الحال أن تتأخر عن صاحبها، ويجوز تقديمها عليه؛ لأن " نسبة الحال من صاحبه نسبة الخبر من المبتدأ، فالأصل تأخيره وتقديم صاحبه، كما أن الأصل تأخير الخبر وتقديم المبتدأ، وجواز مخالفة الأصل ثابت في الحال كما كان ثابتا في الخبر، ما لم يعرض موجب للبقاء على الأصل أو الخروج عنه"[1].

واختلف النحاة في تقديم حال المرفوع عليه، فلا خلاف بينهم في جواز تقدم الحال إن كان صاحبها المرفوع ضميرا، أما إذا كان المرفوع ظاهرا، فإنه لا يجوز تقديم حاله عند الكوفيين، وذهب بعضهم إلى أن الكوفيين لا يمنعون تقديم حال المرفوع الظاهر إذا كان الفعل متقدما نحو: قام مسرعًا زيدٌ، ويمنعون تقديم حال المرفوع إذا كان الفعل متأخرا نحو: مسرعًا قام زيدٌ [2].

ولست أجد مسوغا لهذا التقسيم الذي أشار إليه الكوفيون، فلا فرق بين أن

---

(١) شرح التسهيل: ٢ / ٣٣٥، وانظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٢٠، شرح التصريح: ١ / ٣٧٨، همع الهوامع: ١ / ٢٤١.

(٢) انظر: شرح التسهيل: ٢ / ٣٤١، شرح التصريح: ١ / ٣٧٨، همع الهوامع: ١ / ٢٤١.

يكون صاحب الحال ضميرًا أو اسمًا ظاهرًا، أو أن يتقدم الفعل العامل فيه أو يتأخر. المهم أن يعرف موقع الحال من خلال السياق؛ لذلك فالأولى بالقبول ما أشار إليه ابن مالك وابن عقيل من جواز تقدم حال المرفوع مطلقا[1].

أما البلاغيون فذهبوا إلى أن تقديم الحال يفيد الاختصاص، فإذا قيل: جاء راكبًا زيدٌ، فإنه يدل على أنه جاء على هذه الصفة مختصا بها دون سواها من سائر صفاته، أما لو قيل: جاء زيدٌ راكبًا، لاحتمل أن يأتي على هذه الصفة وغيرها من الصفات[2].

والحقيقة إن دلالات تقدم الحال أو غيرها لا يمكن أن تكون مقررة سلفًا بهذا الشكل الذي أقره البلاغيون دون ولوج النص الذي وردت فيه هذه الظاهرة أو تلك، والتعرف على سياقاتها المختلفة؛ لأن دلالة ظاهرة ما تتغير وفقا لظروف وملابسات الكلام، وهذا ما أيده بعضهم حين أشار إلى أنه إذا قيل: جاء راكبا زيدٌ، فإنه لا يمكن قصر زيد على حالة الركوب فقط من دون سائر الأحوال والهيئات، فإن ذلك لا ينفى أن يكون لابسًا وضاحكًا وجائعًا، وغيرها من الأمور التي يمكن أن يكون عليها، إذ لا معارضة بين كونه راكبا، وكونه على هذه الأوصاف [3].

ومن ورود تقدم الحال على صاحبها في شعر ابن زيدون، قوله (من الطويل)[4]:

تَغصَّ ثَنَائي مثلما غَصَّ جاهدًا سوارُ الفتاةِ الرُّؤدِ بالمِعْصَمِ الخذْلِ[5]

البيت من قصيدة يستعطف فيها الشاعر أبا الحزم بن جهور للعفو عنه، وفي هذا السياق يجسد لنا صورة ضيق ثنائه وعجزه عن الإحاطة بمناقب الأمير، بصورة السوار الذي ضاق بالمعصم الممتلئ من الفتاة الحسناء. وتقدم الحال (جاهدا) على

---

(١) انظر: شرح التسهيل: ٢ / ٣٤١،شرح ابن عقيل: ١ / ٥٤٣.
(٢) انظر: الجامع الكبير: ١١٢، الطراز: ٢٣٧.
(٣) انظر: الفلك الدائر على المثل السائر: ٢٦١.
(٤) الديوان: ٢٦٦.
(٥) الرُّؤد: الشَّابَّة الحسنة الشباب، والخذْل: العظيم الممتلئ. لسان العرب: ٥ / ٧٨ (رأد)، ٤ / ٤٠ (خ د ل).

صاحبه (سوار الفتاة) جعلنا نشعر بمدى المعاناة والمجاهدة التي يلقاها الشاعر حين يريد الثناء على الأمير، أو ذكر محاسنه وفضائله التي يعجز عنها الوصف.

ومن القصيدة نفسها يقول (من الطويل) [1]:

أَفِي العدْلِ أن وافتْك تَتْرى رسائلي فلم تَتَّرك وصفًا لها في يَدىْ عدْلِ

يؤكد الشاعر أنه قد ظُلم في محاكمته التي على أساسها زُجَّ به إلى السجن؛ لذلك فهو يفزع إلى الأمير متوسلا إليه برسائل متوالية ليعفو عنه، ولكن الأمير يصم أذنيه عن سماع هذه الرسائل، وما يفعله ليس من شريعة العدل. وفي هذا البيت قدم الشاعر الحال (تترى) على صاحبه (رسائلي)، وهذا التقديم أوحى بكثرة رسائله وتوسلاته إلى الأمير، كما بيَّن لنا حالة الشاعر في سجنه، فهو يقاسي الأمرَّين، وكثرة رسائله وتوسلاته دليل على ذلك، والملاحظ أن تقديم الحال في هذا البيت جاء في سياق الاستفهام الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الاستنكار، فبالرغم من كثرة التوسلات، فإن الأمير يصم أذنيه عن سماعها؛ لذا فإن الشاعر يستنكر منه هذا التصرف.

ثانيًا: تقديم الحال على عاملها الفعل:

أشار الكوفيون إلى عدم جواز تقدم الحال على الفعل العامل فيها إذا كان صاحبها ظاهرا مرفوعًا، نحو: راكبًا جاء زيدٌ، ويجوز تقدمها إذا كان صاحبها مضمرا، نحو: راكبًا جئتُ. واحتجوا لمذهبهم هذا بأن تقديم الحال على العامل فيها يؤدي إلى تقديم المضمر على المظهر، فإذا قلنا: راكبًا جاء زيدٌ، كان في (راكبا) ضمير زيد، وقد تقدم عليه، وتقديم المضمر على المظهر لا يجوز، كما ذهب الجرمي إلى منع تقديم الحال على عاملها لشبهها بالتمييز. أما الأخفش فيرى في تقديم الحال بُعدًا لها عن العامل وذلك لا يجوز [2]. أما البصريون فذهبوا إلى جواز تقدم الحال على

---

(١) الديوان: ٢٦٧.

(٢) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٥٠، ٢٥١، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٢٦، شرح التصريح: ١ / ٣٨١، همع الهوامع: ١/ ٢٤١، ٢٤٢.

عاملها إذا كان فعلا متصرفا، أو ما يشبه الفعل من الصفات كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهه، سواء أكان صاحب الحال اسما ظاهرا أم مضمرا، أما إذا كان العامل غير متصرف وجب تأخير الحال عن عاملها، وذلك كأن يكون العامل فعل تعجب أو صفة تشبهه كأفعل التفضيل، أو إذا كان العامل متضمنا معنى الفعل دون حروفه، كاسم الإشارة وحرف التنبيه وحرف التمني وحرف التشبيه والاستفهام، أو كان العامل المتصرف مقترنا بلام الابتداء، أو لام القسم، أو صلة لأل، أو صلة لحرف مصدري[1].

واحتج البصريون لمذهبهم هذا بالسماع والقياس، فمن السماع قوله تعالى ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[2]. وقولهم في المثل: شتَّى تؤوب الحلبة[3]، ومن ذلك قول الشاعر[4]:

لِشمَّاء بعد شتاتِ النَّوَى وقد بِتُّ أَخْيَلْتُ برقًا ولِيفَا

قال أبو علي " فقوله (وقد بتُّ) في موضع حال وهو متعلق بأخيلت، كأنه قال: أخيلت البرق بائتا، فقدَّم، وهذا مما يدل على جواز تقديم الحال مفردة كانت أو جملة"[5].

أما القياس فذهبوا إلى أنه لما كان العامل في الحال متصرفا، وجب أن يتصرف عمله، فجاز تقديم معموله عليه، كما أشاروا إلى أن الحال تشبه المفعول به، فيجوز

---

(١)انظر: رأي البصريين بالتفصيل في كتاب سيبويه: ٢/ ١٢٤، المقتضب: ٤/ ١٦٨– ١٧٠، ٣٠٠، كتاب الشعر:٣٣٧، الخصائص: ٢/ ٣٨٤، ٣٨٦، اللمع: ١٤٥، ١٤٦، الإنصاف: ٢٥١، ٢٥٢، أسرار العربية: ١٩١، ١٩٢، شرح المفصل: ٢ / ٥٧، شرح التسهيل: ٢ / ٣٤٣، تسهيل الفوائد: ١١٠، ١١١، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: ٤٣١ – ٤٣٣، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ٢٥ – ٢٧، شرح التصريح: ١ / ٣٨١.

(٢) سورة القمر: ٧، و(خشعا) حال تقدمت على عاملها (يخرجون) وصاحبها الضمير في (يخرجون)، والمعنى: يخرجون من الأجداث خشعا أبصارهم. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥ / ٨٦.

(٣) (شتى) حال تقدمت على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر.

(٤) البيت من المتقارب، وهو لصخر المعنى الهذلي، انظر: كتاب الشعر لأبي على: ٣٧٧.

(٥) كتاب الشعر: ٣٧٧.

فيها ما يجوز في المفعول به من التقديم والتأخير، فيقال: جاء راكبًا زيدٌ، كما يقال: ضرب زيدًا عمرٌو، ويقال راكبًا جاء زيدٌ، كما يقال: عمرًا ضرب زيدٌ.

أما ما ذهب إليه الكوفيون من أن في تقديم الحال على عاملها تقديمًا للمضمر على المظهر، فقد أشار البصريون إلى أنه وإن كان هناك تقديم للمضمر في اللفظ، فإنه مؤخر في التقدير، وإذا كان مؤخرا في التقدير فإنه يجوز فيه التقديم، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾[1]، فالضمير في (نفسه) عائد إلى (موسى) وإن كان متأخرا في اللفظ، لكنه لما كان في تقدير التأخير جاز تقديمه.

ورأْي البصريين هو الأولى بالقبول لورود السماع به، كما أنه الأقرب إلى قياس النحاة، أما ما ذهب إليه الكوفيون فإنه يناقض مذهبهم القائم على التوسع وإباحة القياس على الشاهد أو الشاهدين؛ لذلك لا أجد مانعا من جواز تقديم الحال على عاملها الفعل المتصرف، أو ما يشبهه إذا أمن اللبس، ودلت القرائن على هذا التقديم.

وقد ورد تقديم الحال على عاملها الفعل في شعر ابن زيدون، وذلك قوله (من البسيط)[2]:

أما هواكِ فلم نَعْدلْ بمنهلِهِ ... شربًا وإن كان يَرْوينا فيُظْمينَا[3]

لم نَجْفُ أفْقَ جمالٍ أنتِ كوكَبُه ... سَالِينَ عنهُ ولم نَهْجرْهُ قَالينَا

ولا اختيارًا تجنَّبْناهُ عن كَثَبٍ ... لكن عَدَتْنا على كُرْهٍ عَوادِينَا

فرَّ الشاعر من سجنه بقرطبة إلى إشبيلية، ولكن قلبه ظل معلقا بمحبوبته في قرطبة، وفي هذه الأبيات يرى أن حبها كالمشرب الذي ينهل منه فلا يرتوي، وإنما

---

(١) سورة طه: ٦٧.

(٢) الديوان: ١٤٧.

(٣) القلي: البُغْض والكره، والكَثَب: القُرْب. لسان العرب: ١١ / ٢٩٢ (ق ل ا)، ١٢ / ٣٣ (ك ث ب).

يزداد ظمأ، ورغم هذا العذاب، فإنه لم يعدل إلى منهل آخر، ولم يغادر البلد الذي هي فيه عن سُلوٍّ أو بُغض، ولم يتجنب مكانها بعد القرب منها مختارا، وإنما حملته المِحَنُ على ذلك مكرها، وفي هذا السياق قدم الحال (اختيارا) على عاملها (تجنبناه)، وهذا التقديم أتاح لحرف النفي (لا) أن يسلط على الحال؛ للتأكيد على أنه مجبر على هذا البعاد، ولا يملك حرية للاختيار.

ويقول أيضا (من المتقارب) [1]:

عَـلام أطْبْتُـكِ دَواعِـي القِـلَى ... وفـيم ثَنْتُـك نَـواهِي العَـذَلْ[2]

ألمْ ألْـزمِ الـصَّبْر كـيما أخِـفَّ ... ألم أُكْثـرِ الهجْـرَ كـيما أُمَـلْ

ألمْ أرْضَ منـكِ بغـيرِ الرِّضَـا ... وأبْـدى الـسُّرورَ بـما لمْ أنَـلْ

ألمْ أغْتفِـر مُوبقـاتِ الـذُّنو ... بِ عمْـدًا أتيـتِ بهـا أم زَلـلْ

لقد أفسد الوشاة العلاقة بين الشاعر وولادة، فقد أصغت إليهم وصدقتهم، وهو هنا يناشدها أن تتأنَّى في قطع ما بينهما من صلات، ويتساءل عن سبب انصرافها عنه، ألم يصبر على ما تحمَّله راضيا ليكون خفيفا على قلبها؟ ألم يقلل من زياراته لها حتى لا تمله؟ ألم يتغاض عن إساءاتها التي وجهتها إليه عامدة؟ [3]. وقد أوحى تقديم الحال (عمدا) على عامله (أتيت) بأن ولادة كانت تتعمد إهانة الشاعر والإساءة إليه، فمن الواضح أنها كانت تريد الانصراف عنه؛ لذلك كانت تفتعل – عامدة – ما يثير حفيظة الشاعر، وما يعكر صفو العلاقة بينهما؛ لقطع ما بينهما من صلات. ولما لم تفلح محاولاتها لتحقيق غايتها، لجأت إلى إهانة الشاعر والإساءة إليه.

---

(١) الديوان: ١٨٨.

(٢) طَبَاهُ عن الأمر: صرفه عنه، والعذْل اللوم. لسان العرب: ٨ / ١٢٦ (ط ب ي)، ٩ / ١١١ (ع ذ ل).

(٣) انظر: ابن زيدون لعلي عبد العظيم: ٢٢٠.

ثالثاً: تقديم المستثنى على المستثنى منه:

الأصل لدى النحاة أن يتقدم المستثنى منه على المستثنى، لكنهم متفقون على جواز تقدم المستثنى على المستثنى منه، فيقال: قام إلا زيدًا القومُ، والقوم إلا زيدًا ذاهبون، وضربت إلا زيدًا القومَ، وما فيها إلا أباك أحدٌ [1].

وقد أشار البلاغيون إلى أن تقديم المستثنى على المستثنى منه يفيد الاختصاص، ففي قولنا: ما ضربتُ إلا زيدًا أحدًا. فإنه يفيد اختصاص زيد بالضرب، وأنه لا مضروب سواه [2]. بيد أن هذه الدلالة تتغير بتغير السياقات والنظر إلى ظروف وملابسات الكلام.

وقد ورد تقديم المستثنى على المستثنى منه في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [3]:

فثِقْ بهزْبرِ الشِّعرِ واصْفحْ عن الوَرَى ... فإنَّهم إلا الأقلَّ ذُبابُ

البيت من قصيدة أنشدها الشاعر حين أحاطت به الفتن والدسائس، ففزع إلى الأمير متبرئا منها، راجيًا منه الصفح، وأن يهبه ثقته، فهو كالأسد الكاسر في عالم الشعر، بينما غيره يطنُّ فيه كالذباب. وقد قدم المستثنى (الأقل) على المستثنى منه (ذباب)، وتأخير المستثنى منه هنا يتوافق مع امتهان الشاعر لغيره من الشعراء، ووصْفه لهم بالذباب، فكان حقهم التأخير، بينما المجيدون منهم - وهم قليل - فحقهم التقديم.

رابعًا: تقديم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل:

القياس لدى النحاة أن تتأخر (من) مع مجرورها عن أفعل التفضيل؛ وذلك لأن

---

(١) انظر: كتاب سيبويه: ٢ / ٣٣٥، المقتضب: ٤ / ٣٩٧، الخصائص: ٢ / ٣٨٤، الإنصاف: ٢٧٥، شرح المفصل: ٢ / ٧٩، شرح التسهيل: ٢ / ٢٩١، شرح التصريح: ١ / ٣٤٥.

(٢) انظر: الجامع الكبير: ١١٢، المثل السائر: ٢ / ١٧٩، الطراز: ٢٣٧.

(٣) الديوان: ٣٨٥.

(من) ومجرورها معمولة لـ (أفعل)، والمعمول رتبته التأخير [١]. كما أشار بعضهم إلى أن (من) ومجرورها مع أفعل التفضيل " بمنزلة المضاف إليه من المضاف، فلا يجوز تقديمها عليه، كما لا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف " [٢].

وأغلب النحاة على وجوب تقدم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل، إذا كان المجرور بها اسم استفهام، أو مضافًا إلى اسم استفهام، نحو قولهم: مِمَنْ أنت خيرٌ؟ ومِنْ أيِّهم أنت أفضل؟ ومن كم دراهمُك أكثر؟ ومن غلام أيهم أنت أفضل؟ وذلك لأن الاستفهام له الصدارة فوجب تقديمه[٣].

على حين منع أبو علي الفارسي تقدم (من) مع مجرورها على (أفعل) التفضيل مطلقا، فلم يجز " ممن أنت أفضل، ولا ممن أفضل أنت، فتقدِّم الجار عليه؛ لضعفه أن يعمل فيما تقدمه " [٤]. وأوقف ما ورد منه على الضرورة [٥].

بيد أنهم اختلفوا في تقديم (من) مع مجرورها إذا لم يكن اسم استفهام، أو مضافًا إلى اسم استفهام، فأجازه ابن جني، قال: " وقد جاء الطائي الكبير بالتقديم والتأخير، فقال:

وإنَّ الغِنى لي لو لحظْتَ مطالِبي من الشِّعرِ إلا في مديحِكَ أطْوعُ

وتقديره: وإن الغني لي لو لحظت مطالبي أطوع من الشعر إلا في مديحك"[٦].

---

(١) انظر: النكت الحسان في شرح غاية الإحسان لأبي حيان الأندلسي. تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م: ١٤٠.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢ / ١٤٥.

(٣) انظر: النكت الحسان: ١٤٠، ارتشاف الضرب: ٣ / ٢٣٠، شرح ابن عقيل: ٢ / ١٤٦، همع الهوامع: ٢ / ١٠٤، شرح الأشموني: ٣ / ٥٢، الضرائر للألوسي: ١٨٩.

(٤) المسائل الحلبيات. لأبي على الفارسي. تحقيق الدكتور حسن هنداوي. دار القلم. دمشق ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م: ١٧٧.

(٥) انظر: المسائل الحلبيات: ١٧٧.

(٦) الخصائص: ٢ / ٤١١.

على حين أشار ابن مالك وابن عقيل إلى القول بشذوذه، وندرته في الكلام [1]، ومن ذلك قول الشاعر [2]:

فقلتُ لها لا تَجْزعي وتصبَّري ... فقالت بحقٍّ إنَّني منْك أَصبرُ

فقلتُ لها والله ما قُلتِ باطلاً ... وإنِّي بما قد قلتِ لي منك أَخبرُ

واحتج أنصار هذا الرأي لصحة مذهبهم بأن أفعل التفضيل لا يقوى قوة الفعل ليعمل عمله فيما قبله؛ وذلك لأن (أفعل) عامل غير متصرف في نفسه، فلم يكن له أن يتصرف في معموله بالتقديم عليه كسائر العوامل غير المتصرفة [3].

وقد أوقف الجمهور ذلك على ضرورة الشعر، فأوَّلوا الشواهد التي ورد فيها تقدم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل في غير الاستفهام بأنها ضرورة [4].

والرأي عندي جواز تقدم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل إذا كان المجرور بها استفهاما أو غير استفهام، ما دام قد ورد السماع به في الاستعمال العربي الفصيح، اتباعا لرأي أبي حيان الذي ذهب إلى كثرة " تقديم (من) ومجرورها على أفعل التفضيل في الشعر بحيث يصح القياس عليه " [5]، أما القائلون بالشذوذ، أو قصر هذا الاستعمال على ضرورة الشعر، فإنهم إنما ذهبوا إلى القول بذلك في محاولة منهم للمحافظة على اطراد القاعدة.

وخلاصة القول: إن الأصل هو تقديم أفعل التفضيل، ثم يليه (من) مع

---

(١) انظر: تسهيل الفوائد: ١٣٣، شرح ابن عقيل: ٢ / ١٤٦، المساعد على تسهيل الفوائد ٢ / ١٦٨.

(٢) من الطويل، لا يعرف قائلهما، والبيتان بغير نسبة في المساعد على تسهيل الفوائد: ٢ / ١٦٨، والشاهد فيهما سبق (من) مع مجرورها أفعل التفضيل، والتقدير: إنني أصبر منك، وإني أخبر منك بما قد قلت لي.

(٣) انظر: شرح التصريح: ٢ / ١٠٣، الضرائر للألوسي: ١٩٠.

(٤) انظر: الكافية في النحو: ٢ / ٢١٦، شرح التصريح: ٢ / ١٠٣، حاشية الصبان: ٣ / ٥٢، الضرائر للألوسي: ١٩٠.

(٥) ارتشاف الضرب: ٣ / ٢٣٠.

مجرورها، ولكن يجوز مخالفة هذا الأصل إذا أمن اللبس، ودلت القرائن على هذا التقديم.

وقد ورد تقديم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل في شعر ابن زيدون، حيث كان التقديم وسيلة من وسائل الشاعر لتحقيق الغرضين الآتيين:

- **التأكيد**: في قوله (من المتقارب) [1]:

وطاعةُ أمرِكَ فرضٌ أرا ... هُ من كلِّ مُفْترضٍ أوْكدَا

والتقدير: وطاعة أمرك فرض أراه أوكد من كل مفترض، وقد أفاد تقديم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل التأكيد على وجوب طاعة الشاعر للأمير، حيث يرى أن طاعة المعتمد فرض أحق بتنفيذه من سائر الفروض.

ومن ذلك قوله (من الطويل) [2]:

ودُنْيا وجدْنا العيْشَ في غَفَلاتِها ... طريقًا إلى وِرْدِ المنية مَهْيعَا [3]

نُعلِّلُ فيها بالمنَى فتغرُّنا ... بوارقُ ليس الآلُ منها بأَخْدَعَا

حيث قدم الشاعر (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل، والتقدير: ليس الآل بأخدع منها. والبيتان من قصيدة في رثاء الشاعر لأم المعتضد، حيث يرى أن الدنيا طريق واسع يفضي بالناس إلى الهلاك، وهم مسوقون إليه في غفلة عن هذا المصير المحتوم؛ لأن الدنيا تغرهم بالآمال الخادعة كالسراب [4]. وقد قدم (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل؛ للتأكيد على هذا المعنى والدلالة على أن السراب إذا قورن بالدنيا فليس أقل خداعًا منها، بل هي أكثر وهمًا وضلالاً.

---

(١) الديوان: ٢١٦.

(٢) الديوان: ٥٥٠.

(٣) الطريقُ المَهْيعُ: الواضح الواسع البيِّن، والآل: السَّراب. لسان العرب: ١٥: ١٨٠ (هـ ج ع)، ١ / ٢٦٧ (أ ول).

(٤) انظر: الديوان: ٥٥٠ هامش (١، ٢).

- **المبالغة**: وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

وقومُ عدًى يُبْدون عن صفحاتِهم ... وأزْهَرُها من ظُلْمة الحقْدِ أكْلَفُ[2]

غَيارَى يعدُّون الغرامَ جَريرَةً ... بها والهوى ظُلمًا يغيظُ ويُؤسِفُ

يودُّون لو يُثْنِي الوعيدُ زماعَنا ... وهيهات ريحُ الشوقِ من ذاك أعْصَفُ

الأبيات من قصيدة أنشدها الشاعر في إشبيلية بعد فراره من قرطبة، وفي هذه الأبيات حنين إلى ولادة التي يحول دون الوصول إليها أعداء الشاعر الذين يجاهرونه بالعداوة والبغضاء، ويسوِّد الحقد وجوههم، ويضاف إلى ذلك أنهم شديدو الغيرة عليها، حيث يرون حبها ذنبًا لا يغتفر، وعدوانا يثير الغيظ والحزن، ويتمنى هؤلاء الأعداء أن يخيف الشاعرَ وعيدُهم، فيضعف عزمه وينصرف عنها، ولكن هيهات، فريح الشوق أعصف من أن يصدها وعيدهم وعوائقهم [3]، وقد قدم الشاعر(من) مع مجرورها على أفعل التفضيل في قوله: ريح الشوق من ذاك أعصف. والتقدير: ريح الشوق أعصف من ذاك. وهذا التقديم أوحى بقوة حبه وشوقه لولادة، وضعف وعيدهم وعوائقهم التي يعيقونه بها أمام هذا الشوق، بحيث إنهم لن يستطيعوا الصمود أمام هذا الحب الجارف.

وقال أيضا (من الطويل) [4]:

ألَيسَ بنو عبادٍ القبلةَ التي ... عليها لأمالِ البريَّةِ مَعْكَفُ[5]

ملوكٌ يُرى أَحياؤُهُم فَخْرَ دهْرِهم ... ويُخْلفُ موتَاهُم ثناءٌ مُخَلَّفُ

---

(١) الديوان: ٤٨٠.

(٢) صَفحة الرجل: عُرْضُ وجهه، والأزْهر: الأبيض، والكلف: حمرة تعلو الوجه، وقيل لون بين السواد والحمرة، وقيل سواد يكون في الوجه، والجريرة: الجناية والذنب. لسان العرب: ٧/ ٣٥٤ (ص ف ح)، ٦/ ٩٩ (ز هـ ر)، ١٢/ ١٤١ (ك ل ف)، ٢/ ٢٤٣ (ج ر ر).

(٣) انظر: الديون: ٤٨٠، ٤٨١ هامش (٣، ٤، ٥).

(٤) الديوان: ٤٩٠، ٤٩١.

(٥) أوكف: أغزر. لسان العرب: ١٥/ ٣٨٦ (وكف).

بهـم باهـتِ الأرضُ الـسماء فأوجـهٌ شموسٌ وأيدٍ من حيا المزنِ أوْكَـفُ

إن بني عباد قبلة الناس ومحط أنظارهم ومعقد آمالهم، فهم فخر للدهر ما داموا أحياء، وإذا ماتوا يطيب الثناء عليهم، تفتخر الأرض بهم على السماء، فوجوههم كالشمس المشرقة، وأيديهم كالغوث الممطر [1]. وقد قدم الشاعر (من) مع مجرورها على أفعل التفضيل في قوله: وأيد من حيا المزن أوكف. والتقدير: وأيد أوكف من حيا المزن، مبالغة منه في التعبير عن كرم بني عباد، بحيث إنهم لو قورنوا في كرمهم بالمطر لكانوا أكثر غزارة وكرما.

خامسًا: تقديم النعت الجملة على النعت المفرد:

القياس إذا نُعتَ بمفرد وجملة، أن يتقدم النعت المفرد على النعت الجملة [2]. وذلك كقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ ﴾ [3]؛ وذلك لأن" الأصل الوصف بالاسم فالقياس تقديمه " [4]. وقد أوجب ابن عصفور تقدم النعت المفرد على النعت الجملة، وذهب إلى أن ذلك لا يخالف إلا في ضرورة أو ندرة [5].

على حين أجاز بعضهم تقدم النعت الجملة على النعت المفرد [6]، وهذا الرأي هو الأولى بالقبول؛ لورود ذلك في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ [7]، وقوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[8].

---

(١) انظر: الديوان: ٤٩٠ هامش (٤، ٥)، ٤٩١ هامش (١).
(٢) انظر: شرح التصريح: ٢ / ١٢٠، همع الهوامع: ٢ / ١٢٠، شرح الأشموني: ٣ / ٧٢.
(٣) سورة غافر: ٢٨.
(٤) همع الهوامع: ٢ / ١٢٠.
(٥) انظر: همع الهوامع: ٢ / ١٢٠.
(٦) انظر: همع الهوامع: ٢ / ١٢٠، شرح الأشموني: ٣ / ٧٢.
(٧) سورة المائدة: ٥٤.
(٨) سورة الأنعام: ٩٢.

وقد ورد تقدم النعت الجملة على النعت المفرد في شعر ابن زيدون، وذلك في قوله (من الطويل) [1]:

وأحْسِنْ بأيامٍ خَلَوْنَ صوالحٍ
بمصنعةِ الدُّولابِ أو قصْرِ ناصحِ

بعد فرار الشاعر من قرطبة إلى إشبيلية، جذبه الحنين إلى أهله ووطنه، وأخذ يتذكر تلك الأيام الجميلة التي قضاها عند مصنعة الدولاب وقصر ناصح. وقد قدم النعت الجملة (خلون) على النعت المفرد (صوالح)، وهذا التقديم جعلنا نشعر بمدى الحزن والحسرة التي تعتصر قلب الشاعر حين يتذكر تلك الأيام، فقد انقضت ولا سبيل إلى عودتها مرة أخرى.

ويقول (من الخفيف) [2]:

نَتَعَاطي الشَّمولَ مُذهبةَ السِّر بالِ والجوُّ في مَطارِفَ غُبْرِ [3]
في فُتوٍّ توشَّحوا بالمعالي وتَردَّوْا بكلِّ مَجدٍ وفَخْرِ
وضَّحٍ تنْجلى الغياهبُ منهم عن وُجوهٍ مثلِ المصابيحِ غُرِّ

حيث قدم الشاعر النعت الجملة (توشحوا بالمعالي وتردوا بكل مجد وفخر) على النعت المفرد (وُضَّح)، وهذا الترتيب يتفق مع ترتيب هذه النعوت في نفس الشاعر، فهو يؤكد أنه يلهو مع فتيان يرتدون ثوب العلا والمجد والفخر، مشرقي الوجوه متهللي الأسارير كالمصابيح. ويلاحظ أنه يريد أن يخلع على أصدقائه صفات المجد والعلا فهم سليلو الأمراء والملوك - وهي صفات لا يوصف بها أي أحد - لذلك فهي الأهم لديه؛ لأنها مقصورة على أصدقائه فقط دون غيرهم، ثم يصفهم بعد

(١) الديوان: ١٣٥.
(٢) الديوان: ٢٣٣، ٢٣٤.
(٣) المطَارِف: أرديةٌ من خزٍّ مربعة لها أعلام. لسان العرب: ٨ / ١٤٩ (ط ر ف).

ذلك بإشراق الوجوه، وهي صفة يمكن أن تنطبق على كثير من الناس، فكانت في الأهمية أقل من الصفات السابقة فأخرها.

وقال (من الطويل) [1]:

تحولُ رماحُ الخطِّ دونَ اعْتيادِها وخيلٌ تُمطَّى نحو غَاياتِها جردُ[2]

يحول دون وصول الشاعر إلى فتاته كتائب ملتفة حول خبائها مستعدة بالرماح الخطية والجياد المطهمة[3]. وقد قدم النعت الجملة (تمطى نحو غاياتها) على النعت المفرد (جرد)، وهذا التقديم أوحى بمدى استعداد هذه الخيول لامتطاء فرسانها لها، والذهاب إلى الهدف المراد، إذ ليس المهم عند الشاعر أن يصف هذه الخيول بقصر الشعر أو غير ذلك، بقدر ما يهمه التركيز على مدى استعدادها للدفاع عن الفتاة.

وبعد دراسة ظاهرة التقديم والتأخير في شعر ابن زيدون، يتضح أنه خالف أصل الترتيب الذي وضعه النحاة للجملة العربية. وقد أمكن رصد عدد من الدلالات المرتبطة بهذا السلوك النحوي، وذلك من خلال ربطه بالنص الشعري، وما يرتبط به من سياقات مختلفة، وما ينتج عنه من دلالات.

---

(١) الديوان: ٣٥٢.

(٢) الخطُّ: أرض ينسب إليها الرماح الخطِّيَّة، والأجردُ من الخيل: القصير الشعر. لسان العرب: ٤ / ١٤١ (خ ط ط)، ٢ / ٢٣٥ (ج ر د).

(٣) انظر: الديوان: ٣٥٢ هامش (٢).

obeikandl.com